مختارات فصول ـ مختارات فصول ـ مختارات فصول

مصطفى نصر

حفل زفاف في وهج الشمس



١٩٩٩

مختارات فصول

سلسلة أدبية شهرية
قصص
العـــدد (١٢٦)
مايــو ١٩٩٧

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. سمير سرحان

رئيس التحرير

سامى خشبة

مدير التحرير

حسن سرور

المشرف الفنى

صبرى عبدالواحد

الغلاف للفنان

يوسف شاكر

الــكابوس

سيأتى سمير فى الغد ، لقد قال لها هذا اليوم ٠

أول مرة يزورها فى بيتها ٠

جدتها العجوز تجلس فوق درجة السلم الكبيرة ، غير مدركة لشىء حولها ٠

ترفعهـا « دولت » كل ليلة عن الأرض ، تضـع ذراعها حول رقبتها وتسير بها حتى السرير ٠

اختلف أبوها مع أمها وانفصلا ٠ ذهب كل منهما الى طريق ، تزوج ولم تعد تراه ، لا يزورها ولا يسأل عنها ، وانشغلت أمها بزوجها وأطفالها منه ٠

ولم يتبق لدولت سوى جدتهـا ٠ لم تكن عجـوزا هكذا وقتها ٠ كانت أكثر طولا وعرضا ، انحنى

جسدها الآن وضمر عنـــدما تنام لا تشغل ســوى جزء صغير جدا من السرير ٠

تأتى دولت من المدرسة الابتدائية ، تحمل حقيبتها الممتلئة بالكتب ٠ تجد جدتها تجلس أمام باب بيتها ، ومعها بعض النسوة ٠

ــ سكان البيوت المجاورة ــ تضع دولت الحقيبــة أمامهن ، تنحنى ، تقبلها جدتها وتربت فوق ظهرها ، ثم تجلسها فوق فخذها ، رغم جسد دولت الممتلىء ٠

تردد امرأة من الجالسات :

ــ صارت دولت ابنتك !

ــ نعم ٠ أحس أنها آخر العنقود ٠

الكل انصرف عن الجدة العجوز الآن ، ابنها الذى يكسب كثيرا لا يزورها الا فى الأعياد ، جاءها منـــذ شهور طويلة بعد أن اتصـــلوا به فى العمـــل ، قالوا له « آمك مريضة جدا » ٠

اشترى لها الدواء ، ولم يأت حتى فى اليوم التالى للاطمئنان ٠

اكتفى بالاتصال تليفونيا ، وأوصى دولت بأن تعطيها الدواء فى الميعاد . وابنتها تسكن الدور الأرضى من نفس البيت ، لكن لا تصعد اليها الا نادرا . فهى مشغولة بزوجها وأطفالها الكثيرين .

وآم دولت تسكن بعيدا ، زوجها أصغر منها ، لهذا تدلله ، وتتمنى رضاه ، لا تستطيع أن تتركه أبدا .

كلما زارتها دولت ، قبلتها قائلة :

ــ عندما تموت جدتك ، ستكون حجرتها لك ، تتزوجين فيها .

أول مرة قالت لها هذا ، حزنت ، غضبت من أمها .

هى لا تصدق أن العجوز ستموت وتتركها وحدها . لقد دللتها ، اشترت لها كل ما تتمناه ، أنفقت عليها كل ما تملك ، ايجار البيت الذى تملكه ، والمبلغ الشهرى الذى يرسله لها ابنها الذى يكسب كثيرا . تشترى لها الفاكهة مهما ارتفع ثمنها ، والملابس تشتريها لها دون أن تطلبها .

بل هناك أشياء أخرى تخجل دولت من ذكرها . فالعجوز خافت أن تجرى لها عملية الختان ــ مثل سائر

فتيات الحارة ـ خشية أن تتألم • وعندما لامتها بعض النسوة ، وحذرتها من عواقب هذا ، قالت :

ـ لا أستطيع أن أراها تتألم •

فكيف تتمنى أمها موتهـا لتحصل ـ هى ـ عـلى الحجرة لتتزوج فيها • لكن سمير سيأتى فى الغد ، أجل ، هكذا قال لها وهما يتناولان الطعام فى حجرة التليفون •

العمر مر سريعا ، ولم تحس به ، كل فتيات الحارة ـ اللاتى فى نفس عمرها ـ تزوجن ، وهى كما هى •

قامت دولت ، الظلام يبدأ فى الدخـول من خـلال فتحات النافذة المواربة ، والعجوز مازالت تجلس فوق درجة السلم الكبيرة تعـودت تلك الجلسـة ، فهى كانت تتناول طعامها أمام باب بيتها صيفا وفوق تلك الدرجة الواسعة شتاء ، كانت دولت تجلس قريبا منها يتحدثان معا •

أدخلتها مدرسة أجنبية ، ودفعت من أجل هذا مبلغا كبيرا من المال ، لكن بعد سنوات لم تسـتطع أن تسـدد مصروفاتها الغالية ، أجرة البيت كما هى ، والأسعار فى ازدياد • وخالها الذى يكسب كثيرا ، لم يزد المبلغ الذى يرسله لأمه منذ سنوات طوال •

اكتفت دولت بالثانوية ، وعملت فى مصلحة التليفونات ، ترد على المكالمات ، زميلاتها تزوجن ، واللاتى آتين بعد ذلك تزوجن أيضا . وهى كما هى .

آرادت أن ترى وجهها فى المرآة . لم تره جيدا ، لأن الظلام ازدادت حدته ، أضاءت المصباح ، رأته ، ليس دميما ، شعرها مجعد — حقا — لكنها تكويه من وقت لآخر . لم يحس أحد — فى العمل — أنه مجعد . لكن وزنها زائد ، تلك مشكلتها . عودتها جدتها على الاكثار من الطعام . كانت تلح عليها .

— كلى يا دولت .

وتأكل دولت .

العجوز مازالت فوق درجة السلم الواسعة .

عادت دولت — منذ شهور — وجدتها فى مكانها ، لم يدخلها أحد . ثارت على خالتها — التى تسكن الدور الأرضى — قالت لها : حرام عليك — لم يكن الوقت متأخرا كما هو الآن .

تعرف سمير منذ أن عملت فى التليفونات ، عندما استعرضت الرجال الذين لم يتزوجوا فى

« المصلحة » رفضت بشــدة أن تفترضه زوجا . قالت لنفسها : « لو بقيت العمر كله بلا زواج فلن أتزوجه .. شديد النحافة ، ملابسه « مكرمشــة » دائما ، وحــذاؤه باهت متسخ . يقــولون انه يلعب بمرتبه « القمــار » لكنه يضحك دائما ، كل النسوة والبنات يضحكن معه . ينادينه باسمات « ســمير ، سمير » ، يعطــونه الحلوى والسندوتشات أحيانا .. يطلبن منه أن يشترى لهن «خيوط التريكو» وملابس الأطفال ، وعلب الصلصة . ويشتريها فى المساء ، ويأتى بها لهن فى الغد .

والرجال يعطونه السجائر ساخرين من بقائه هكذا بلا زواج ، ساخرين من ضياع ماله فى القمار .

لكن العمر يمر وهى كما هى ، تتزوج فتيات الحارة الأقل منها سنا . واحدة وراء الأخرى . وهى لم يسأل عنها أحد .

تســمع فى كل يــوم عن فتاة تخطب فى المصلحة ، وهى مازالت « الآنسة » دولت قالت زميلة لها :

ــ لا تصلح لسمير سوى دولت .

كانت تسخر وقتذاك . ولم تكن تعلم أنها تســمعها من حجرة التليفونات المغلقة .

أرادت دولت أن تبكى ، لكنها تماسكت • زميلتها محقة فيما تقول •• لا يصلح لها سوى سمير • هو ليس دميما • كما أنه موظف قديم وراتبه كبير • القمار ؟ تستطيع أن تثنيه عنه • لو تزوجته ستحبسه فى البيت ، ستشترى ملابسه بنفسها • ستجعله أكثر أناقة من كل رجال المصلحة •

لو ظلت العجوز فوق تلك الدرجة حتى الصباح ، لن تئن ، ولن تصيح تستطيع أن تقضى حاجتها فى مكانها • لابد أن تسرع اليها ، تحملها وتضعها فوق السرير •

اقتربت من سمير • أعطته حلوى كما تعطيه النسوة اللاتى يردن أن يشترى لهن خيوط التريكو وملابس أطفالهن • دعته لكى يجالسها •

لأول مرة تطيل النظر الى وجهه ، لم تكن تدرك ـ من قبل ـ أن عينيه بهذا الجمال • وأن فمه صغير وشفتيه شديدتا الاحمرار •

ضحك كعادته ، ظلنها تريد شراء بعض الأشياء مثل زميلاتها •

سألته عن حاله ، قال انه يسكن مع شقيقه المتزوج، بعد أن طرد من الحجرة التى كان يسكنها لأنه لم يدفع ايجارها لمدة طويلة · وان شقيقه يضيق به الآن ·

فى كل يوم تسأله عن حال شقيقه · وفى كل يوم يحكى لها عن التطورات بينهما ، لقد ضاق به ، وهدده بأنه سيطرده ·

سألته :

ـ وماذا ستفعل ؟

ضحك أيضا وقال :

ـ سأسكن فى فندق رخيص الى أن أجد حلا ·

سمعت صوت خالتها تنادى أطفالها من الحـارة ، قالت لهم :

ـ كفى لعبا ، الساعة تقترب الآن من العاشرة ·

العاشرة ؟! الوقت مر سريعا · والعجـوز مازالت تجلس فوق الدرجة الواسعة · الجو ازداد برودة · وهى عجوز ضعيفة ·

آه ، لو أحست خالتها بأن أمها مازالت فوق درجة السلم للآن • أو رآها أى ساكن هكذا • ماذا سيقولون عنها ؟

لقد أحس سمير بها بعد ذلك • مد يده فى حجرة التليفون ، لمس يدها ، ودتلو ضمته الى صدرها الممتلىء وقبلته • لكنها خشيت الزميلات الكثيرات حول الحجرة ، وخشيت التحقيق والجزاء والفضيحة لو رآها أحد • كما أنها لا يجب أن تبدو أمامه متلهفة عليه •

عندما سألته « لماذا لم تتزوج ؟ » ضحك بصوت مرتفع ، كأنها قالت نكتة •

ــ أنا أتزوج ؟!

خشيت أن يخرج من حجرة التليفونات ويفضحها • ستفهم النسوة الخبيثات مقصدها ، لكنه لم يفعل • قال :

ــ لا تنسى أننى أسكن فى فندق الآن •

ليس مهما ، كل شىء يمكن تدبيره ، المهم أن يوافق على الزواج منها •

ــ المشكلة مشكلة السكن فقط ؟

ـ انها مشكلة الدولة كلها ٠٠

قالها وخرج ٠ شردت هى ،

منذ أيام ، زارت جارة لهـا ، تسـكن فى البيت المقابل لبيت جدتها ٠ قالت لها انهـا ستخطب الخميس القادم ٠ تلك الجارة أصغر منها بكثير ٠ لقـد كانت دولت صديقة لأختها الكبرى ٠ أختها تزوجت ، وتأتى لزيارة أمها ـ الآن ـ ومعها أطفالها الثلاثة ٠

لم تحس بنفسها ، بكت ٠ التفت الأسرة كلهـا حولها ٠ أحست هى بالخجل ٠ قالت :

اننى أبكى من الفرحة ٠

قالوا :

ـ أجل ٠ نعلم هذا ٠

لكنهم ٠ كانوا يحسون انها تبكى من الغيظ ، ومن الحسرة على نفسها ٠ حاولت أن تنقص وزنها شيئا ، دون طائل ، أتعبتها التمرينات الرياضية والرجيم أفسد معدتها ، ووزنها كما هو ٠

لكن سمير وافق على أن يتزوجها ٠

زارت أمها ، فجدتها التى ربتهـا وتحبهـا كثيرا ما عادت تحس بشىء حولها · وخالتها مشغولة بأطفالها الكثيرين الذين يملأون الشارع قالت لأمها ما حدث ·

ــ ألف مبروك يا ابنتى · ومتى سيأتى ليخطبك ؟

ــ لكن يا أمى ، هو لا يملك سكنا · ولا يستطيع أن يوفر مقدم الشقة · ربتت على ظهرها قائلة :

ــ يخطبك · وجـدتك لو عاشت اليـوم لن تعيش غدا · حجرتها واسعة ، تتزوجين فيها ·

لم تضايقها كلمات أمها هـذه المرة · فالمـوت أمر محتم · وكل الناس تموت ·

مرت شهور ، والجدة كما هى · تصحو فى الصباح، تجلسها دولت تضع صينية الشاى فوق الفراش · تضع الخبز «المغموس بالشاى فى فمها · تلوك العجوز بفمها الخالى من الأسنان · لكنها لا تمـوت · قبـل أن تذهب دولت الى العمل تجلسها فى مكانها فوق درجة السـلم الكبيرة · وتوصى خالتها ، وأطفالها ليعتنوا بها » ·

وتعود بعد الثانية ، تجدها كما هى لا يتحرك فيها سوى العينين · سمير ارتدى قميصا جديدا ، قال لها :

ـ لقد وفرت ثمنه ·

ـ كسبت فى القمار كثيرا ؟

ـ لا · لم ألعب منذ أيام ·

لكن متى سيتزوجها ؟ العجوز عاشت كثيرا · تزوجت وأنجبت · وموتها الآن ليس غريبا · ولن يكون مفاجأة لأحد ·

أحست دولت بارتعاش جسدها ، أسرعت الى النافذة المواربة · أغلقتها ، الأطفال دخلوا بيوتهم ليناموا ، وجدتها فى مكانها ·

سيأتى سمير فى الغد · قالت له : ·

ـ لا تخش شيئا ، الحجرة موجودة ، لكن العجوز تموت ·

ضحك كعادته ، ظنها تمزح · أكدت بأن ما تقوله حق ·

انها تخشى أن يضيع سمير منها ، أن يتزوج ، انه يبتعد الآن شيئا فشيئا عن القمار ، ولم يعد يرتدى ملابس مكرمشة ·

قد يحلــو فى أعين الفتيــات اللاتى لم يتزوجن ٠ وقد يفضل واحدة منهن عليها ٠

سمعت دقات عنيفة فوق باب خالتها ، انه زوجها قد عاد من عمله تعرف هى دقاته العنيفة ٠ الســـاعة تقترب من منتصف الليل ٠ والعجوز فى مكانها ٠

فتحت دولت النافذة فى حذر ، نظرت الى الحارة ، وجدتها ملفوفة تماما بالظلام ٠ الأطفــال الأشــقياء كسروا « المصباح » الوحيد الذى كان يضيئها ٠

أمها ستأتى فى الغد لمقابلة سمير ، سيتفقان عــلى كل شىء ٠ قالت لأمها أن يأتى لبيتها ،لتتفق معه هناك، لكنها رفضت خافت من أن تغضب زوجها ٠

لو جاء سمير كما اتفق ، ستقترض أدوات مطبخ خالتها ٠ لا شك سيأتى مع أقاربه ٠

أطفأت المصباح وسارت الى درجة السلم الكبيرة ، كانت العجــوز مستلقية عــلى جنبهــا وتخرج غطيطا منتظما ، والحشية التى تجلس فوقها ــ دائما ــ بعيــدة عن جسدها ٠

خالتها نامت ، والحارة ساكنة ، امتدت يدا دولت، لامست جسد العجوز • وجهها كان يستند على الحائط ، لم تره دولت • ارتعشت يداها ، لكنها أسرعت بلمس الجسد الضامر • ثم دفعته فى عنف •

تدحرج الجسد كصرة سوداء فوق الدرجات • لـم تر دولت شيئا •

أسرعت الى الحجرة فى الظـلام ، أغلقت البـاب ، وصعدت فوق السرير نامت ، أحست بارتعاش جسدها•

لم تقو على لمس الغطاء ، ظلت هكذا حتى الصباح•

وقفت أمام الشقة ، الظـلام • يحتويهـا من كل جانب •

لقد أقسم زوجهـا ألا تبيت فى الشـقة • كانت ثائرة حينذاك ــ مثله • لا تدر بماذا أجابته لكنها تذكر جيدا أنها أشاحت بيدها ، وسارت نحو حجرتها •

الجيران كلهم نائمون ، مصابيحهم مظلمة •

بيت أمها فى آخر الشـارع ، تسـتطيع أن تسرع اليه •

أجل ستسرع اليه •

بسملت ، استعاذت من الشيطان الرجيم — ، وهى تهبط درجات السلم ، لكنها لم تستطع أن تخطو خطوة ناحية باب البيت • الشارع مظلم تماما ، والبيت الكبير المهجور ، الذى يسمونه فى الشارع « الخرابة » ، أمامها بكت • لعنت زوجها بداخلها • كيف ستسير أمام تلك الخرابة • الكل فى الشارع يؤكد أنها مسكونة بالشياطين ، وصعاليك الحى •

الخرابة ، بيت كبير ، مكون من أربعة أدوار • بعد « ازالة » السكان منه • استعدادا لهدمه ، اختلف الورثة فى ملكيته ، فتركوه — دون هدم أو بناء — حتى سرق اللصوص النوافذ والأبواب ، لم يتركوا فيه سوى الجدران ، يصعد الصعاليك فوقه كالقرود ، فالبيت سلمه محطم •

أرادت أن تعود الى زوجها ، عادت لأول درجة فى السلم لكنها لم تستطع •أ ولو تجد الآن أحدا يسير من أمامها ، يعينها على اجتياز تلك ، الخرابة !

الصعاليك يأتون بقشر الأرز ، يحرقونه داخل البيت المهجور • ثم يعبئونه فى أجولة • ويبيعونه لباعة الشاى ، ليخلطوه بالشاى •

بسملت ثانية واندفعت فى جرأة ، ووضعت قدمها فوق أرض الشارع ، دفعها الهواء فى عنف ·

ذات صباح استيقظ الشارع كله ، على صوت امرأة تسكن بالدور الرابع ، المواجه لأعلى الخرابة كانت تصرخ · وتصيح أن شابا فى « الخرابة » ، يخلع سرواله ، ويكشف عن عورته · بحثوا داخل « الخرابة » فلم يجدوا أحدا ·

آكد البعض أن ذلك شيطان ، لكن المرأة أقسمت أن ما رأته كان شابا · وأنها رأته من قبل يدخل ويخرج من الخرابة ·

ارتعش جسدها كله ، وهى تقترب من «الخرابة» ·

أحست أن قدميها يلتصقان وأنها ستقع · الظلام ازدادت حدته ·

حاولت أن تسير فلم تستطع · أوقفها شبح كان يلتصق بالجدار · لا تدرى ان كان هو الذى أتى اليها ، أما أنها أطاعته وأسرعت اليه ·

ثم وجدت آخر أمامها ، أرادت أن تصرخ · الآخر وضع يده فوق فمها ·

شبح آخر كان يتدلى من فوق الجدار • أحست باسترخاء جسدها وبرغبة فى دفع اليد التى تضغط فوق فمها ، فهى لا تستطيع الصراخ ، حتى لو ابتعدت اليد عنها • أياد كثيرة تلقفتها • صعدت الجدار مثلهم• احتك جسدها بنتوءات الجدار ، آلمها الاحتكاك • لم تصرخ •

كانت ترتدى لزوجها ثوب النوم الهفهاف الأحمر• وهو مسترخ على الكنبة ، يقرأ فى جريدة الصباح ، التى آتى بها من العمل بعد الظهر •

أرادت أن تمازحه • لكنه كان مشغولا بجريدته • لا تدرى ما الذى جعله يصرخ فيها ويسبها • ربما ، لم يقدر أنها تمازحه •

أحست بضوء خافت يأتى من أعلى الجدار وهمس لم تفهمه • لم تدر بأى لغة كان • ابتعدت اليد عنها ، نامت فوق الأرض • بيدها لامست حشية تحتها •

قبلها أحدهم • أحست بأنفاسه تكاد تخنقها • شعرت بتقزز ، أرادت أن تدفعه • لكنها خافت أن تلمسه • لامست أصابعها التراب بجوار الحشية ــ آخر، كان يلمس وجهها وشعرها •

تطور الحديث بينها وبين زوجها • كانت تقف حافية — حينذاك — فوق البلاط قال : قلت لن تبيتى الليلة فى شقتى •

آمسك يدها ، تألمت :

— دع يدى ، يدك تؤلمنى !

شدها ناحية الباب •

— لن أترك البيت الآن • الفجر يكاد يبزغ •

— ولو •••

آحسست أن الأيادى التى تعبث بجسدها كثيرة • وأن العرق ينز من جسدها رغم البرد عندما أرادت أن تتخلص منهم • التصق وجهها بالتراب ، امتزج التراب بشعرها • التصق به •

شدها زوجها من يدها ، وفتح باب الشقة ، لم تقاومه ، سارت معه ••

آسرعت هى الى خارج الشقة • قبل أن يدفعها •

آحدهم كان يتصرف بجنون ، كان يشد شعرها وملابسها . دفعه آخر بعيدا . لم تسمع حتى همسهم بجوارها . آحست برغبة فى النوم وبأن عددهم يزداد.

هبت عاصفة من الهواء . أطفأت المصباح الخافت المتدلى من الحائط . ورفعت طرف ثوبها . ابتعدوا عنها . أشعلوا نارا فى حجرة بعيدة .

آغمضت عينيها . وتذكرت أمها وزوجها واخوتها آحست أنها لن تراهم ثانية .

لقد رآها زوجها ، وهى تسير أمامه . كان يشغل نفس الشقة قبل الزواج . خطبها من أمها لم تعترض ، رغم أنها لم تكن تعجب به .

اذا ما تشاجرا ، يقسم أن تذهب الى أمها . وتذهب ويأتى ليردها فى اليوم التالى .

لكن فى هذه المرة . الوقت كان متأخرا .

حملوها ثانية ، فوق الجدران . كان مسترخية تماما . والنتوءات تحتك برأسها وجسدها كله .

أرادت أن تخرج آهة • لكنها لم تخرج •

أسرعت الى بيت أمها • دقت الباب •

صرخت المرأة : مأذا بك ؟

عندما لم تجبها ـ أحست أن زوجهـا قد ضربهـا ومزق ملابسها •

فى اليوم التالى أتى زوجها •

كان يرتدى بدلة كاملة وكرافتة والجـريدة فى يده • كان عائدا من العمل •

قالت أمها :

ـ ارتدى ملابسك • زوجك جاء ليأخذك •
كان يبتسم لها •

سارت هى ، وهو كان يسير خلفهـا مختـالا يضرب الجريدة بساقه ضربات منتظمة •

ما أدهشنى ــ عندما تذكرت ذلك ــ هو أن الحارة كانت مظلمة ، رغم أن ما حدث كان فى شهر رمضـــان الذى يسهر فيه سكان الحى كله للصباح تقريبا ٠

أحاول أن أتذكر ذلك ، ربما لأن الجو كان باردا ٠٠ فان المارة كانوا قلة ، حتى ان الكلاب انزوت داخل البيوت ٠٠ وكفت عن النباح الذى كانت تبدأه منــذ أول الليل الى آخره ٠٠ وتتجمع فى أول الحارة وكأنها تقصد حراستها ٠

وكنت أستذكر دروسى ــ ليلتها ــ فى بيت حسن ابن خالى ٠٠ وأنا أخفى يدى اليسرى بين ساقى كعادتى وقت البرد ٠٠ بينما يغطى حسن ظهره ببطانيــة ٠٠ ويرتدى « جاكيت » قديما فوق البيجامة ٠

قبل موعد السحور بقليل استأذنت للذهاب الى بيتى القريب ·

هبطت درجات السلم ، رأيتها تقف داخل باب البيت ، تلف وجهها بشال أحمر قديم ·· وتمد رأسها الى الحارة المظلمة فى قلق ·· قلت كالعادة :

ــ مساء الخير ··

لم تكمل الرد ·· وقبل أن اتخطى عتبة الدار ، قالت :

ــ لو سمحت ···

توقفت ، ظننتها ستمازحنى كالعادة ·· لكن حالتها لم تسمح لها بالمزاح :

ــ أرجو أن تستدعى « المسحراتى » لاحدثه ·

وصلتنى طبلة المسحراتى المميزة ·· وصوته المبحوح آتيا من البيت المقابل ·· اقتربت من الصوت·· كان يذكر أطفالا ــ أعرفهم جيدا ــ يمتدحهم ·

ما الذى تريده هى من المســـحراتى ؟ أتريد أن تعطيه شيئا ؟ ربما ·

لكنها تقف قلقة ·· وفى جو شديد البرودة ·· وتخفى جسدها خلف ضلفة الباب المغلقة ·· فتنظر من خلال حديد الباب المتشابك ، ومن فتحات زجاجه الملون المكسور (الذى كسره الأطفال وهم يلعبون) وصلت الى البيت المقابل · كان المســحراتى نحيفا · يلف وجهــه بكوفية ·· ومعه شاب يحمل مصباحا وبيده دفتر يمليه الأسماء : أحمد ، رضوى ، احسان ·

والمسحراتى ينشد لــكل اســم أبياتا من الشــعر ودعاء ·

قلت مرتبكا :

ـ امرأة فى البيت المقابل تطلبك ·

كف عن دق طبلته ، ووقفت الكلمات فوق شفتى صاحبه ··ابتسم المسحراتى قائلا :

ـ انتظر ·· سأتى معك · ·

لا شك . هو يظنها تريده لكى تعطيه مالا ، أو كعكا أو شيئا آخر .

ووقفت خارج البيت حـرجا ، والهـواء البـارد يجعلنى « أتكتك » .

الرجل يريدنى أن أنتظره ، حتى أدله عـلى بيت المرأة التى تريده ، يخشى أن يتوه عن البيت فتضيع منه الهبة المنشودة .

أخرجت رأسها ثانية لكى تتأكد من اننى أحـدثه فعـــلا .

أذكر جيـدا يـوم أن جئت الى ذلك البيت ، كنت صـغيرا .. وكانت جـدتى تعيش فى البيت .. وأنا واخوتى نقضى معظم الوقت معها .. لقد سافرت بعـد ذلك الى الصـعيد .. وتركت الحجـرة ـ التى كانت تعيش فيها الى شقيقها الأصغر ـ الذى أناديه بخالى ـ فجعلها سكنا لابنـه حسن : والتى نسـتذكر دروسـنا فيها الآن .

سمعت وقتها أن الحجرتين المطلتين عـلى الشارع فى الدور الأرضى ستسـكنهما عـروس جـديدة ..

والعريس هو حامد فهيم ·· الذى يسكن البيت المجاور لبيت جدتى ·· مع أبيه وأخيه وأمه البلهاء ·

كان حامد فهيم يعمل زبالا مثل العديد من سكان الحى ، أراه عائدا من عمله عابسا ، يسحب أمه ويضرب شقيقه الأصغر ، أو شقيقته الصغيرة ، فيجرون منه خائفين · وأبوه هادىء لا يتدخل فى شىء ·

بعد العصر تقريبا ، يغتسل ويرتدى ملابس نظيفة ، أنيقة ·· ويذهب الى دكان « على سمنة » الخياط الذى يحيك له بدلة وبدل معظم شبان الحى ·· يجتمع حامد مع أصدقائه ، يدخنون أحيانا ، أو يذهبون لحضور حفل زفاف صديق ، أو قريب لأحدهم· يدخنون ويشربون البيرة ·

حضرت حفل الزفاف ، وسرت مع حسن ابن خالى الى « الكوشة » لكى نطمئن على العروس التى ستسكن بيتنا ·· كانت مبتسمة ، كاشفة عن أسنانها · وعن مدى اتساع فمها ·· لكن وجهها كان أسمر ·· يميل للاحمرار ، فبدت جميلة فى نظرينا ·

عدنا الى البيت مع من عادوا سيرا على الأقدام ·· فقد كان الحفل فى مسرح قريب من البيت ·

وذهب حامد فهيم وعروسه وبعض أعضاء العائلتين فى تاكسيات* .. ليطوفوا حول مسجد أبى العباس سبع لفات ، ومسجد سيدى جابر سبع لفات .

وقفت أم العروس ومعها بناتها الكثيرات .. كلهن أصغر من العروس ، وأم حامد البلهاء ، وأخته وبعض النسوة .

وانضمت اليهن زوجة خالى وجـدتى .. امتلأت دخلة البيت بهن .

همست زوجـة خالى لامـرأة تقف بجـوارها ، فابتسمت المرأة ، ثم ضحكت خجلة .. وهزت جسدها كله هزات عديدة .

ثم جاءت العروس ، كانت مبتسمة فى خجل .. وحامد عابس ـ كعادته ـ أسرعا الى الحجرتين ، بينما انطلقت الزغاريد ، ورشت أم العروس الملح فوقنا .. وابتسمت أم حامد البلهاء .. لكن لم يسمحن لها بدخول الحجرتين مع من دخلن .. فظلت واقفة أمام البـاب المغلق عابسة .. تحدث نفسها فى غضب .. ثم سمعنا جلبة فى الداخل .. فقد كان عدد الداخلات كثيرا جدا على الحجرتين الصغيرتين .

زغردت أخت العروس الصغرى ٠٠ كانت طويلة وحمراء مثل أختها ٠٠ قال حسن ابن خالى :

ــ أختها جميلة ٠

خرجت بعد لحظات أم العروس ومعها عدد كبير من النسوة ٠٠ وأغلقت الباب خلفها ٠٠ وأبعدونى مع حسن وباقى الأطفال عن الباب ٠٠ ثم التصــقت النســوة بالبابين ٠٠ فقد كان لكل حجرة باب من ضلفتين عــلى الطرقة الضيقة ٠

أخذت النسوة يدققن البابين فى عنف ٠٠ ويغنين أى أغان ٠٠ ويقلن أى قول بصوت مرتفع ٠٠ المهم هو احداث الضجة ٠٠ شعرت بالخوف والدهشة معا ٠٠ فما الذى يحدثنه هؤلاء البلهاوات ؟

كاد البابان يتحطما من شدة الضرب عليهما ٠٠ ثم كفت النسوة بعد أن احمرت أيديهن من الدق ٠

سألت جدتى عما يفعلن فلم تجبنى ٠٠ لكن زوجة خالى قالت خجلى :

ــ عندما تكبر ستفهم ٠

خرجت امرأتان كانت بالداخل مع العريس والعروس ٠٠ احدهما أخت حامد فهيم المتزوجة والتى تسكن بعيدا ٠٠ أما الأخرى فلم أرها من قبل ٠٠ وعلمت بعد ذلك أنها عمة العروس ٠

ردد المسحراتى كلماته المعتادة ٠٠ وأنا واقف مكانى ، يلفحنى الهواء البارد ٠

سكان البيت الذى ينشد فيه نائمين ٠٠ وهو لايريد أن ينتهى ٠

وهى كلما لسعتها برودة الجو، دخلت البيت وتوارت خلف الضلفة المغلقة ٠

كان التعارض واضحا بين هانم العروس (التى عرفت اسمها بعد ذلك) وبين زوجها حامد فهيم ، فهى أكثر طولا وعرضا ٠٠ دائمة الابتسام ٠٠ ميالة الى الضحك والمزاح ٠٠ بينما هو شديد النحافة ٠٠ اذا ما سار تحس أن به عرجا خفيفا ٠٠ كما انه لا يطيق المزاح ٠٠ لقد بكى فى حفل زفافه ، لأن أقاربه لم يعاونونه كما كان ينتظر ٠٠ فأبوه ــ كعادته ــ لا يتدخل فى شىء ٠٠ وأمه بلهاء لا تعرف كيف تتحدث ٠

انشغلت أنا وحسن بالعروس الجديدة وأسرتها ·· تحدثنا عنهم طويلا ·· أختها الطـويلة الحمـراء ·· عرفنا أن اسمها « سردينة » ·

تقرب حسن منها وحدثهـا ·· كانت أكبر منـــه سنا ·· لكن حسن أحس بأنها استجابت له ·

عند ظهر كل يوم تمتلىء الجدران بالشمس والذباب يغطيها تماما ·

كنت أنا وحسن ابن خالى نفض الذباب ونصعد · ننظر من خلال النافذة المواربة الى الحجرتين ·· رأينـا هانم نائمة فوق الأرض ·· برداء عار ، وحامد مستلق بعيدا عنها ، فوق الأرض أيضا ·· كان مشهدهما غريبا علينا ·· فكأنهما ماتا وهما يحاولان الفرار من شىء ما ·· فارتميا على الأرض فى مكانهما الذى رأيناهما فيـــه ·

تردد ــ فى البيت ــ بعد ذلك ·· ان حامدا أضعف من هانم ·· وانه لا يذهب الى عمله اذا ما باشرها فى المساء ·· فينام مريضا ·· وتزوره أخته التى تسـكن بعيدا ·· وتأتيه أمه حاملة طبيخها ، فيأخـذه منهـا

ويسبها •• ويطردها من الحجرتين •• غاضبا لأى شىء •• فكل تصرفات أمه تضايقه •

وشاع فى البيت ـ أيضا ـ ما تفعله هانم بحامد•• اذ تمازحه كثيرا •• وهو يضيق بها ويثور عليها •• لكنها لا تكف أبدا عن مزاحها معه •

يحاول أن يضربها ، لكنه لا يستطيع •• فهى أطول منه وأقوى •• تراوغه وتهرب •• يعلو صــوته حتى يسمعه كل من فى البيت •

وتأتى أمها ـ أحيانا ـ لفض المشاكل بينهما •

••• وتغيرت أنا وحسن ـ ابن خالى ـ كبرنا ، وأصبحت اهتماماتنا أكبر •

تأتى هانم ، وهى الآن صــديقة لــزوجة خالى ، تجدنى أكتب دروسى •• واضعا يدى اليسرى بين ساقى من شدة البرد •• فتسألنى ضاحكة :

ـ أين يدك اليسرى ؟

أو تسألنى عن القرش الأحمر الكبير الذى بلعتــه منذ سنوات •• أيام كانت جدتى فى البيت •• هل نزل من أمعائى أم لا •

ورأيتها وأنا خارج من باب البيت فى المساء ·· تشد ثوبها حول ساقيها ·· فتكشف عن أعلاهما ·· وتسير أمامى وهى تنظر الى · من وقت لآخر مبتسمة ·· لكننى كنت خجولا ·· فلم أبتسم لها أو أحدثها ·· لكن حسن ابن خالى تجاوب معها لدرجة انه ضربها ·· فقالت لأمه ضاحكة :

ــ ابنك يريد أن يتزوج ·

وفهمت زوجة خالى مقصدها ·· فثارت فى وجه ابنها ــ أمامى ــ مما جعلنى أخجل منها ·

ابتسم لى المسحراتى ·· وضع يده فوق كتفى :

ــ معذرة ·· كان لابد من الانتهاء ·

كانت عيناى تدمعان من شدة البرد ·· سرت معه الى البيت ··

قال المسحراتى لهانم :

ــ تحت أمرك ·

نظرت حولها قلقة ، ثم قالت :

ــ أدخل ·

أسرع الرجل الى المدخل ٠٠ وتبعته ، بينما مساعده ظل فى الخارج حاملا مصباحه ٠

أخرجت من صدرها مبلغا من المال ٠٠ دسته فى يده ٠٠ تقبله الرجل فرحا ٠٠ ثم قالت :

ـ زوجى ذهب ليأتى بأمى ، وسيسألانك ان كنت أمليت اسمه مع أطفال البيت لتمتدحه ، أم لا ٠

ـ اسم زوجك ؟

بدا الرجل حائرا ٠٠ لا يدرى ما الذى حدث ٠٠ قالت موضحة :

لقد كتبت اسم زوجى مع أطفال البيت ٠٠ ولقد مدحته ـ انت ـ معهم منذ قليل ، وكأنه طفل صغير ٠

ضحك الرجل وقال :

ـ فهمت كل شىء ٠

قلت لها :

ـ تريدين شيئا آخر ؟

قالت :

ـ شكرا ٠٠

وهى تقترب من الشجرة الكبيرة ، أحست بارتعاش. لا تدرى لماذا ، فلقد أتت لمقابلته — فى هذا المكان — كثيرا ، ربما مئات المرات .

كانت تسعد كلما اقتربت من هذه الشجرة ، وكانت تتلهف للقائه .

انحدرت من المرتفع الذى تعلوه الشجرة ، انغرس حذاؤها العالى فى الأرض الطينية الرخوة ، كادت تقع. (حذاؤها هذا ، أهدته لها سيدتها منذ شهر تقريبا مع مجموعة من الملابس الأخرى) خرج محروس من كوخ «البستانيين ، يحمل دلوا فى يده ، ويشمر بنطلونه لأعلى . ازداد خوفها ، توارت خلف الشجرة . فى أول

مرة رآته فيها ، كانت تجلس مع حبيبها مرسى فوق مقعدهما المفضل ، ضحكت يوما من محروس ، قالت لمرسى وهى مازالت تضحك :

— وجهه شديد القبح !

اقترب محروس منها ، كان يبتسم ، الابتسامة كشفت عن اتساع فمه ، واسنانه الكبيرة ، ولثته الحمراء ، شعره كث ، ولحيته متناثرة بطريقة تثير التقزز ٠

كلما رآها يبتسم ، وهى تضحك ، ولكن هذه المرة تخافه ٠

لمحها محروس ، أسرع اليها ، ارتعشت ، سمعت صوت ضحكاته ، التصقت بجذع الشجرة الكبير ، احتمت به ٠ ضحك ثانية ، عيناه صغيرتان غائرتان ، وجبهته صغيرة ، يخفيها الشعر المطل من أعلى ٠

قال :

— تريدين مرسى ؟

أومأت برأسها بخجل وخوف (فى المرات السابقة كانت تحدثه ضاحكة وساخرة) ، ضحك ثم أسرع ·

أول مرة أتت الى هنا ، كانت مع سيدتها وطفلتيها (نيفين وداليا) ، كانت سيدتها ذاهبة لزيارة صديقة لها تسكن عمارة قريبة من هنا ، قالت لها :

ـ اجلسى مع البنتين حتى أعود · اهتمى بهما ·

أجلست البنت الصغيرة « نيفين » بجوارها على المقعد ، و « داليا » الكبيرة أخذت تجرى على النجيل فرحة ، وهى تصيح فيها :

ـ داليا لا تبتعدى !

وابتعدت داليا ، اضطرت أن تحمل « نيفين » وتجرى خلفها ، وداليا تضحك وهى تجرى ·

أمسكها مرسى من يدها ، وأتى بها اليها ·

مرسى طويل وجهه حسن ، بشرته سمراء ، وشعره ينسدل فوق جبهته ·

كان يرتدى ملابس أنيقة · قالت :

ـ شكرا ·

سيدتها امرأة شرسة · تصر أن تضع فوق رأسها « ايشاربا » قديما حتى يحس الناس أنها خادمة · تكره – هى – هذا الايشارب ، ولـكن الاتفاق ، ألا تخلعه مادامت برفقة أحد أفراد الأسرة ، حتى مع الطفلتين الصغيرتين ·

لم تبد اعجابا به حينذاك شدت البنت داليا باليد الأخرى وسارت نحو المقعد · لكنه لم يبتعد عنها ، كان يتابعها باعجاب وهى تسير · تعرف هى نظرات الاعجاب تلك ، رأتها فى أعين الكثيرين من شباب حيهم ورأتها فى عينى سيدها ، كلما مرت أمامه ·

سيدتها – رغم شراستها – تهديها ملابسها القديمة · لولا «الايشارب» ما أعتقد أحد أنها خادمة ·

اقترب منها بجرأة أعجبتها · تحدث معها عن البنتين · لم يشر الى عملها كخادمة (عرفت – بعد ذلك انه كان يعلم) ·

سعدت لحديثه ، حدثته عن البنتين وكأنهما بنتا أختها ، أو قريبة حميمة لها ·

واحست وقتها أنه يعمل موظفا بالبلدية (للبلدية مكاتب كثيرة فى الحديقة) • أو ملاحظا على البستانيين، لكنها لم تسأله عن عمله • وهو لم يحك لها عنه •

هبط محروس من فوق الجبل ، المكسو بالنجيل • والورود ، والشجيرات • والذى لا يسمح لصعوده الا للعاملين فى الحديقة • أو بعض من يرغبون فى صعوده •

سألت مرسى عن ذلك الجبل مرة • قال لها ان تحته حجرة عمليات هامة ، واقامة الحديقة فوقها للتمويه ••

لا تعرف ــ للآن ــ نوع العمليات التى تجرى فى الحجرة •

ضحك محروس لها ، قال :

ــ قلت لمرسى ، وسيأتى •

ابتسم مرسى لها من فوق الجبل الأخضر • اضطربت (فى المرات السابقة كانت تسعد عندما تراه آتيا) وضعت يدها الصغيرة بين أصابعه ، ضحك محروس من بعيد ، سمعت صوته المرتفع وهو يضحك • جلسا فوق مقعدهما المفضل ، قال :

ــ ماذا فعلت ؟

تلعثمت ، لم تجبه • وضع يده فوق يدها :

ـ هل نويت ؟

ـ انني خائفة •

تأتى اليه فى كل مرة تحس فيها بالضيق • كلمـا تشاجرت مع سيدتها ، تصر أن تخرج من البيت لزيارة أبيها • وتخرج ، لا تذهب الى أبيها ، تأتى الى هنـا ، تحكى له عما يوجعها ، كلماته تريحها ، تعود ثانية الى بيت سيدتها ، وكأن شيئا لم يكن •

آبوها مازال يجلس فوق « الظلطة » الكبيرة ، بعد أن يفرد قماشته المهترئة فوقها • يدق الأحذية يرتقها• يخرج مسمارا ، مسمارا ، من فمه •

بعد أن ماتت أمها ، تزوج • أتى بزوجة صغيرة ، نحيفة ، ليس لها صدر ولا ردفين •

آخواها عادل وصبرى ، ينامان لدى معلميهما ، الأول يعمل صبى حلاق ، والآخر لدى ترزى •

يشترط آبوها ، أن يأويهما أصحاب العمل • هـو ليس لديه مكان لهما ، ولا لهـا ، الزوجة الجـديدة شغلته •

لم يعرض مرسى عليها الزواج ، كما كانت تظن ، لا ، عرض عليها عرضاً غريبا • أن تعمل فى الحديقة وتتزوج كل من يدفع • صعقت أول مرة يحدثها فى هذا ! غضبت ، بكت ، أقسمت ألا تأتى اليه ثانية لكنها جاءته ثانية ، واشترطت ألا يحدثها فى هذا الموضوع أبدا •

لكنه عاد اليه بعد عدة مرات ، لم يحدثها فيها عنه • قال : ستكسبين كثيرا • ستأكلين لحما كما تشائين •

قال لها :

ــ ستكون لك شقة خاصة بك، وتسريحة ، وأدوات تواليت تتزينين بها ، وربما خادمة أيضا • ولن تخسرى شيئا •

لم يعد الحديث يضايقها ، كما كان فى أول مرة ، كانت خائفة ، مترددة فقط •

قام ، قال :

ــ سأجعلهم يعدون كل شىء •

أمسكت يده • شديده ، وأسرع الى الجبل • أحست أنها وحدها ، تمنت رؤية أى انسان ليؤنسها ، حتى ولو كان محروس القبيح •

هبط مرسى ومعه رجل أكبر منه سنا · نظر اليها وابتسم :

ــ أهلا بك ، لقد حدثنى مرسى عنك ·

لم تجبه · قال الرجل :

ــ هيا بنا ·

أمسكت بيد مرسى ، صعدوا الجبل ·

الجبل ليس به مقــاعد · بعض النســوة يجلسن متجاورات ، واحدة تضع ملاءة ســوداء فوق كتفها ، نظرت باهتمام اليها · وبعض الرجال يقفون فى ركن بعيد · يتهامسون ويبتسمون ·

منذ أن أتى الرجل الكبير · لم تستطع النطق · لا شىء سوى لمسات أصابعها فوق يد مرسى ·

هذه الحفلة لازمة لاعدادك للمهنة ·

أبوها يسكن فى كوخ فوق سطح بيت فى الحى · ضيق لا يتسع الا للسرير والصوان · ومساحة ضيقة ياكلون فيها ·

عندما تزوج آبوها ، فرش لهم قطعة قماش ، يشدها فى الصباح فوقه لتقيه الشمس ، وهو يدق الأحذية القديمة · لكن عندما أتى الشتاء ، لم يستطع آن يدعهم ينامون فى البرد · سمح لهم بأن يناموا بجوار السرير ·

قال له آحد سكان البيت :

ـ كيف يا رجل تأتى امرأتك ، وهؤلاء الأولاد فى الكوخ ؟

وبكت أمرآته وقتذاك · قال :

ـ ياناس أولادى ، أرميهم ؟

قال الرجل الكبير :

ـ نامى ·

نظرت الى مرسى فى خوف ·

آخرجت امرآة علبة سجائر من صدرها ، قدمت للأخريات سجائر · وأشعلتها لهن ·

نامت فوق فراش ممدود • ضـوء الشمس داعب عينيها فى عنف أدمعهما •

الرجل الكبير ، أمسك بزجاجة حمراء ، وأعطاها لمرسى :

اشرب ، فأنت عريسنا اليوم •

قالت امرأة لزميلاتها :

ـ البنت جميلة • الولد مرسى عفريت •

شرب مرسى من الزجاجة • وأعطاها لمعلمه ، ووضع المعلم يده على كتفه مشجعا •

عندما هم مرسى بالاقتراب منها ، دخل محروس ، وبستانى آخر أكبر منه ،، قال الأكبر :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟

قال المعلم مترددا :

ـ مرسى عريسنا اليوم •

ـ لمـاذا ؟

ـ لأنه · هو الذى أتى بها ·

ـ ولماذا لا يكون محروسا ؟

البستانيون يسمحون لهم باستخدام الجبل · لــو غضبوا عليهم لن يجدوا مكانا يعملون فيه ·

نظر المعلم الى مرسى ، ثم قال :

ـ وماله ؟ أنتم الخير والبركة (يقصد البستانيين كلهم) ·

ازدادت حدة الشمس ، بكت فوق فراشها ·

عاد مرسى ، صار فى مكان المعلم والبســتانيين · والنسوة كشرن ، والرجال الآخرون تهامسوا ولكن دون ابتسام ·

آرادت أن تقوم · لكن الوجوه الكثيرة ، لا تعرف من بينهم سوى مرسى ومحروس · ليتها لم تعرف محروس هذا ·

ابتسم محروس فى حياء ، تردد · صاح به البستانى الآخر :

ــ اذهب يا ولد • لا تستح •

أعطاه المعلم الزجاجة الحمراء التى شرب منها مرسى من قبل • ابتسم له • مصمصت امرأة شفتيها ، لكن بصوت خافت •

نام محروس فوقها • ابتعدت بجسدها • صارت رأسها بعيدة عن الفراش •

أبوها تجعد وجهه • مازال ينغز الجلد المهترىء بمسلته ذات اليد الخشبية ، التى يدفع بها السن داخل الجلد • ثم يخيك الأحذية بابرته • يشد الخيط بأسنانه • رغم العمر الطويل ، مازالت الأسنان قوية • يضع الجلد فى ماء أسن ، يتحول لونه للأحمر • حتى يلين الجلد • ولا يقاوم مسلته وابرته •

حجب محروس عنها ضوء الشمس بجسده الكبير • لكنها مازالت تبكى • فمه الواسع وأسنانه الكبيرة كانا يثيران تقززها من بعيد ، صارا الآن يلتصقان بوجهها•

دفعته بيديها ، صاحت :

آخذها أبوها من يدها ، وسلمها لسيدتها ، كانت صغيرة وقتذاك • شعرها معقود بايشارب زوجة أبيها •

قالت المرآة وهى تمط شفتيها :

ـ لا بأس ٠

تركها أبوها وعاد ٠ بعد أن اطمئن أن الولدين ـ أيضا ـ لن يناما فى الكوخ ٠ أرسلتها سيدتها مع البواب الى حلاق بعيد ، ليزيل شعرها كله ٠ بكت يومها ٠

أطفال العمارة كانوا يسخرون منها ٠ كانت تبكى من سخريتهم ، تتوارى بعيدا عنهم ٠ عندما شكت لسيدتها ، ضحكت ، ولم تفعل شيئا ٠

لكنها كبرت ، وكبر شعرها ، وصارت تعتنى به ٠

ضحك محروس ضحكته البلهاء (هىء ، هىء) ٠

ارادت أن تسعل ٠ أن ترميه بساقيها ، لكن قواها خارت ٠ فمه يخنقها ٠

رآتها سيدتها تقف أمام المرآة ٠ تضع مساحيقها فوق وجهها ٠ شعرها الذى أزالته فى صغرها لقذارته صار الآن أصفر ناعما ٠

هى أجمل من سيدتها ، كل خادمات العمارة يقلن هذا • ويقلن أيضا أن سيداتهن يقلن هذا • لعل هـذا ما جعل سيدتها تسىء معاملتها ، أو لعلها اكتشفت نظرة الاعجاب فى عينى زوجها ••

زوجة أبيها ــ اذا زارتها ــ لا تعـد لهـا طعاما ، تتركها وحدها فى الكوخ • تقول لها :

ــ سأذهب لأبيك •

يتناولان الطعام فوق الرصيف • وهى وحدها فى الكوخ بلا طعام •• عندما يحين موعد عودتها لسيدتها تمر عليهما ، تقول :

ــ انى ذاهبة الآن •

يبتسمان لها من بعيد •

وتعود •

غنت النسـوة ضـاحكات • منظر محروس فوقها جعلهن يضحكن • كل واحدة منهن تذكرت يوم عرسها •

« حلــوة يا بلحـــة يامقمعـــة

شرفتى اخــواتك الأربعــة »

تشكو زوجة أبيها لها من ســوء الحـــال ٠ الرجل يجلس فوق زلطته طــوال اليــوم دون شيء ٠٠ يلبس الناس الآن أحذية مصنوعة من « البوليتان » ، اذا ما تمزقت لا ينفع معها مخمازه ولا ابرته ٠ ولا مساميره ٠

ضحك البستانى الآخر من زميله ، سبه ساخرا ، قالت امرأة كلمة بذيئة ٠ ضحك لها كل الحاضرين حتى مرسى لكن محروس وهى لم يضحكا ٠

هلل الرجل الأسود ، وقف محروس منتشيا ٠ التفوا حوله ٠ قبلوه مهنئيين ٠ حتى مرسى قبله ٠ والنسوة قمن اليه ٠ ابتسمن له ٠ زغردت احــداهن ٠ ثم أخذتهـــا النسوة الى كوخ خشبى ، ليضمدن جرحها ٠

ست البيت

لا تنكر توحيدة انها قد أحبت حسان فى يوم من الأيام . يوم بعيد جدا . أيام كان نحيفا كعود بوص ، يسير فى حوارى وأزقة الطابية بجلبابه الهفهاف وقامته المديدة كالنخلة .

كان يعمل لدى مقاول أنفار . يدخل ورق الدشت الى شركة الورق أو يرفع العجينة المتخلفة من الصناعة لكن بعد وقت قصير اقتنع به المقاول . وجعله يقوم بالأعمال الكتابية كتابة أسماء الأنفار ، وحسابهم ثم السؤال عن الشيك فى الحسابات .. الخ .

حينذاك رأته توحيدة . أعجبت به ، وابتسمت له . والدها كان يعمل « شيخ خفراء » المصنع . تحت

امرته كل الخفراء · كما ان الباشا ـ صاحب المصنع ـ سمح له باقامة بيت صغير فى أرض مجـــاورة لمخــزن الدشت لكى يكون قريبا من الدشت الذى يطمع فيـــه الأهالى ، ويتخذونه وقودا لأفرانهم · حيث أن المخازن كانت خارج أسوار الشركة ·

عارض شيخ الخفراء ـ أول الأمر ـ فى أمر زواج حسان من ابنته توحيدة · فهو يعرفه منذ أن جاء الى أرض الطابية · كان خالى الوفاض بلا أب او أم · أو عشيرة ·

كما أن شيخ الخفراء اكتسب مهابة بثقة الباشـا فيه · فكيف يرضى بولد لا يعرف له أصلا أو فصلا ·

لكن أم توحيدة ألحت · فابنتهـا ليست بالجميلة التى يأتيها الخطاب كل يوم · وحسان شـكله جميل · تتمناه البنات هناك · يتحدثن عنه مع توحيدة فتتمناه فى نفسها ، ولا تقدر على البوح بذلك لهن ·

ساق حسان عليه كل كبار المنطقة · لكى يوافق على الزواج · لم يكن دافع حسان من ذلك هو الحب ، انما كان يطمع فى أن يقترب من شيخ الخفراء ، القوى فى

الطابية . لتكون له مهابة . مكانة ، خاصة داخل المصنع الذى سيطر شيخ الخفراء عليه بثقة صاحبه فيه .

وتحقق له ذلك . فبعد زواجه من توحيدة بقليل ، تحدث مع صهره شيخ الخفراء . فى أن يتحدث مع المسئولين فى الشركة ليكون هو مقاول الأنفار الذى يورد عمال دخول الدشت الى الشركة . ورفع العجينة المتبقية من الصناعة .

أصبح هو المقاول الذى يصدر الشيك باسمه . فيطويه ويضعه فى محفظته ويخرجه . فى البنك ويعود محملا بالنقود ليحاسب عماله ، ويشترى لبيته ما يشاء .

وامتلأ جسد حسان ، صار كالعملاق مع طوله الباسق . وتوحيدة مازالت تحبه . بل صارت تحبه أكثر .. فالمال الكثير جعله يلبس المعاطف الغالية الثمن ، والعباءة السوداء التى طالما حلم بأن يرتديها . ويرش على جسده أغلى العطور . وتراه توحيدة ــ هكذا ــ فتحس بقيمته . وتساعده على أن يكون أكثر جمالا ومهابة .

ولدت له أولاده الثلاثة : ابراهيم وحسن وحسين ـ ثلاثة رجال يشدون من أزره • وهو الذى جاء الى هنا وحده دون شيء •

لكن الحب فى قلب توحيدة اهتز تأثر من أفعاله التى لم تكن تظنه يفعلها يوما • الرجل أعمى المال عينيه ، صار يسير فى الزقاق ، ناظرا الى النسوة دون حياء • جسد توحيدة ما عاد يكفيه وهو القوى كجبل • لقد جاء اليهم فردا ، فصار الآن أعز منها • مات أبوها شيخ الخفراء • وأخذت الشركة بيته ، ليسكنه شيخ خفراء آخر ليحرس الدشت • وأصبح بيت حسان هو بيت توحيدة الوحيد • لو طردها لن تجد بيتا آخر تذهب اليه •

وكبر حسان ، أعطاه الباشا كل شيء • فاشترى سيارة خصوصى • يركبها من أمام البيت حتى باب المصنع الذى لا يبعد عن البيت كثيرا • ويظل يسير بها فى المساء ناظرا الى النسوة اللاتى يتابعنه فى حسرة وحسد ، ويمر أمام المقاهى ، فيقود السيارة على مهل محييا فى كبرياء •

الولد ابراهيم ـ الكبير ـ أصبح سند والده فى عمله · ينام حسان حتى الظهر ، والولد يقوم بكل شىء حتى الشيك ياتى به له من حسابات الشركة · وحسان يركب سيارته ، ويذهب الى البنك ليصرفه ·

توحيدة التى تزوجها لتكون له عزوة · يسبها الآن فى كل مرة يراها فيها · يسخر من لون وجهها الأسود · ومن ملابسها التى تطبخ بها له ، وتنظف بيته وأولاده ·

الحب فى قلبها تقلقل · ليس هو حسان الذى أحبته · لقد صار ـ الآن كتلة من اللحم تتحرك بصعوبة · ورأسا كبيرا ممتلئا · عندما يمسك ذراعها، قبضته تدمى ذراعها النحيل ، تكاد تكسر عظامها الولد حسن ـ الصغير ـ يقول لها :

ـ والدى يتحدث مع النسوة فى المصنع · يمازحهن ·

هى لا تهتم · فقد رأته يمازح الجارات ، ويفرض عليهن خدماته · بل كان يسخر منها أمامهن · ويدعوها بالسوداء ·

ويحدثها حسن قائلا فى اهتمام شديد :
ـ يا أمى · أبى تشاركه النسوة فى ركوب السيارة ·

ظنت أول الأمر أنها امرأة من المصنع أو الحى ، قابلته وركبت فى طريقه · لكن الأخبار تأتى من كل مكان بأنه على علاقة بالبنت محاسن ··

محاسن جارتها التى تسكن البيت المقابل ؟!

محاسن بيضاء · قامتها مديدة مثله · وشعرها مسترسل على ظهرها ، كله اسود · لم يداخله البياض ولا حتى بشعرة واحدة ·

أين توحيدة منها ؟ وقد نحلها حسان وأولاده ، حتى لم يبق منها شىء ·

ـ الأمر لا يحتمل الانتظار يا ابراهيم · أنت كبير الآن وتعرف كل شىء · أبوك « مادام لاف » على محاسن فسوف يتزوجها ·

ـ وماذا افعل يا أمى ؟

ـ حدثه يا ولدى · هو يحبك · انت ذراعه اليمين·

سنده · من غيرك لا يستطيع أن يعمل ·

ـ لكن · · ·

ـ محاسن لو دخلت البيت ستخربه ·

ويخرج الولد ابراهيم لمقابلة والده خارج البيت· لكن حسان كان عنيدا ·

ـ سأتزوجها يا ابراهيم · ولن تفلح ألاعيب أمك توحيدة ·

لم يقل أبراهيم شيئا · ماذا سيقول أبوه بالنسبة له مارد عملاق لا يستطيع أن يعارضه فى شىء · فما بالك فى موضوع شخصى مثل هذا · ·

اشترى حسان الهدايا ودخل البيت المواجه لبيته « عينى عينك » أمام كل أهل الحارة ·

استقبلته أم محاسن :

ـ آهلا سيد المعلمين ·

ـ ألم يحن الوقت بعد يا محاسن •

ـ آآمر يا معلم •

تذهب المرأة العجوزة لتعد الشاى الثقيل للمعلم •

ـ خير البر عاجله يا محاسن •

ـ لكن انت متزوج يا حسان •

ـ ولو • • •

ـ لا • لقد فشل زواجى الأول • ولا أستطيع أن أقامر ثانية •

ـ لماذا ؟

ـ لو دخلت بيتك • لن تنتهى المشاكل مع توحيدة • لقد فشل زواجى الأول بسبب حماتى • وهذه المرة • • قاطعها حسان :

ـ بربك لا تكملين •

ـ لو تريدنى حقا ، سأكون أنا ست البيت •

ـ موافق •

ـ كيف وهي أم أبنائك الثلاثة ، الذين يعملون معك • ويعرفون أسرار عملك •

زفر :

ـ وماذا تريدين ؟

ـ أن أكون سيدة البيت وحدى •

ـ ستكونين سيدته وحدك •

ـ لن يكون هذا ، وأنا وهي على ذمتك •

ـ تقصدين أن أطلق توحيدة ؟

ـ هذا ليس شأني •

قام الرجل حزينا ، سار الى بيته • عندما قابل توحيدة لم يصرخ فيها كعادته • بل نظر اليها شاردا • أغلق باب حجرته خلفه • وخلع عباءته • رماها بعيدا، ونام فوق فراشه بباقى ملابسه •

أيطلق توحيدة بعد هذا العمر ؟! وأولادها ماذا سيفعلون • كيف سيواجههم وهم سنده فى عملة • لكن محاسن جميلة • بيضاء كالقشطة • وجسدها مربوب •

آه .. لقد أضاع عمره مع توحيدة وأبنائها . تحمل دمامتها وسواد بشرتها . فلماذا لا تعطيه هى وأولادها ما يريد .

كان صعبا عليه أن يختار . لولا النوم ـ جزاه الله كل خير ـ لبقى هكذا حائرا حتى الصباح . بدأ يومه التالى باردا كالماء المثلج . يسير وسط عماله فلا يراهم . ولا يرى أى شىء سوى جسد محاسن المترجرج وشعرها المسترسل اللامع . فليطلق توحيدة .

يوقظه الولد ابراهيم يسأله عن أشياء فى العمل . يشيح بذراعه قائلا :

ـ افعل ما تشاء .

وسار بعيدا .

وهو عائد الى بيته . شاهد محاسن تنظر من الشرفة . لم ينظر اليها . أسرع الى بيته .

قابلته توحيدة فى قلق :

ـ ماذا حدث يامعلم . ما الذى جعلك تعود هكذا ؟

انتظرت منه ثورة عارمة ، لأنها تتدخل فيما لا يعنيها . لكنه لم يفعل هذا . بل أجلسها بجانبه وطلب منها أن تسمعه :

ـ أوامرك يا معلم .

ـ ماذا يحدث لو طلقتك يا توحيدة ؟

قامت فزعة :

ـ فال الله ولا فالك .

ـ انني أقول لو يا توحيدة .

ـ لا أريد هذه السيرة فى أى وقت .

ـ أمرك .

فوجئت المرأة بتحوله هذا . قالت فى نفسها الرجل كبر ، وربنا هداه .

بعد أيام قلائل كان حسان قد اختار الاختيار الصعب أن يطلق توحيدة ، حدث ما يحدث .

صرخت المرأة وبكت .

ـ بعد كل هذا العمر تطلقنى .

ـ يا توحيدة اهـدئى · لن تخـرجى من بيتى · ستعيشين مع أبنائك كما انت ·

ـ كيف يا رجل وأنا مطلقة ؟!

ـ انت أم أولادى · سـتبقين فى البيت ، تأكلين وتشربين فيه · فانت ليس لك أحد الآن ·

صرخت توحيدة ، ولطمت خديها ، فتركها قائلا :

ـ قلت لك وفكرى فى الأمر · سأطلقك لا محالة · بدلا من خروجك من البيت · سـتكونين فيـه مسـتتة مكرمة ·

لم تجبه توحيدة بشىء · ولم تبك · ولم تصرخ كما كانت تفعل · ظلت شاردة كأنها قد جنت ·

ثار الولد ابراهيم بعد خروج والده · قال لأمه :

ـ لن يحدث هذا أبدا · لو فعلها سنترك له البيت ·

لكنها لم تجبه · ظلت شاردة ، هادئة · وعنـدما جاء حسان ، قالت له :

ـ موافقة على الطلاق يا حسان ·

الـــزيارة

يعرف « الصول رمضان » ، « منصور العريض » ، أشهر وأهم مسجون فى السجن فرجاله فى كل العنــابر يلبون ندائه ، وينفذون ما يأمرهم به ·

تحتاج ادارة السجن اليه ــ أحيــانا ــ لتنفيــذ مأموريات لصالحها ، كتأديب مســجون مشــاغب أساء لبعض الضباط ولم ينفع معه تأديب السجن · فيتــولى منصور العريض أمره · وهم يعلمون أن تأديبه على يد منصور ــ سينهى كل شىء رجاله يمســكون بالمســجون ويضربونه بطريقة بشعة ، تجعله لا يستطيع بعدها أن يرفع رأسه وصوته ·

أو أن ترغب ادارة السجن فى الوصول الى معلومات من بعض المساجين • فيبث منصور رجاله ، ويأتون له بما تريد ادارة السجن •

لهذا ، شرد الصول رمضان عندما قرأ اسم منصور العريض فى كشوف الزيارة ، تمنى لو لم يكن موجودا فى ذلك اليوم، فالزيارة التى يكون فيها منصور العريض لها وضع خاص ، فهو يأتى وحوله رجاله من كل جانب يفسحون له الطريق ، فيدفعون ــ فى عنف ــ المساجين الذين يقفون فى طريقه • وبالطبع أسماء رجال منصور غير مدرجين فى كشوف الزيارة ، ولن يستطيع رمضان أن يعترض على هــذا ، لأنه يعلم أن ادارة السـجن لن تعترض أيضا •

يتقاضى رجال منصور ــ منه ــ راتبا شـهريا أو أسبوعيا • ويعطيهم سجائرا كثيرة •

ويصل الى سمع الصول رمضان ، ان منصور هــذا يبيع المخدرات داخل السجن • لم يتحدث فى هــذا مــع أحد ولا حتى مع أصدقائه المقــربين ، فهو لا يحب أن تأخذ ادارة السـجن منــه موقفا • كما أنه لا يحب أن يختلف مع منصور العريض •

يقدم منصور له ــ أيام الزيارات ــ بعض الحلويات والهدايا ، من « الزيارة » التى تأتيه • يأخذها رمضان غير راغب فيها • لكنه لا يستطيع أن يرفضها • يبتسم لمنصور وفى داخله رغبة فى أن يصفعه على قفاه العريض ، ووجهه الممتلىء •

بدأ طابور الزيارة ، يقوده شاويش قديم فى السجن • يعرفه رمضان منذ أن كان جنديا صغيرا •

لم يكن منصور ضمن الطابور • فهو لا يحب أن يتعامل مثل باقى المساجين • لابد من أن يأتى وحده وحوله رجاله راجع رمضان أسماء وأرقام المساجين على الكشف الذى فى يده • لم يتبق من الزيارة سوى منصور •

الزوار يقفون بعيدا، يصنعون ضجيجا• والجنود يسدون الباب الضيق أمامهم • يعطيهم الزوار سجائرا • ويتحدثون معهم • بعض المتدافعين ــ من الزوار ــ رأوا المساجين الذين أتوا لزيارتهم ، ضمن الطابور ، فنادوا عليهم وتصايحوا •

لم تتبق سوى دقائق وتبدأ الزيارة ، ولم يأت منصور العريض • يعرف الصول رمضان زواره • بعض

رجاله ــ خارج السجن ــ يرتدون بذلا وخــواتم كثيرة فى أصابعهم • ويتحركون فى « صالة الزيارة » كأنهم فى بيوتهم ، يضحكون بصــوت مرتفع • ويســخرون من باقى المساجين • يتمازحون ــ أحيانا ــ بالســباب والضرب أمام الجنود والضباط جاء منصور• حوله عدد كبير من رجاله ، كان عددهم أكثر من كل مرة معظمهم من الشباب الصغير •

يحمل بعضهم بطاطين • ليفرشوها لزوار منصور• فوق الأرض العارية •

ابتسم منصور للصول رمضان ، وقال وهــو يسير بعيدا عنه :

ــ سنتعبك اليوم أكثر من كل مرة •

لم يفهم رمضان مقصده • ابتسم له وهو شارد :

ــ بعد اذنك ، أريد زوجتى •

لم يكن موعد الزيارة قد بدأ • رغم هذا ، أشار رمضان للشــاويش أن يأتى بزوجة منصــور من بين الزوار الواقفين خلف الباب الضيق •

أسرع الشاويش، خرج من الباب • وعاد ومعه امرأة في منتصف العمر ، ممتلئة شعرها مصبوغا باللون الأصفر •

أسرع مسجون — من رجال زوجها — بحمل « الزيارة » التي تحملها لزوجها •

لم تحيي أحد ، تابعها الزوار الذين ينظرون من فوهة الباب الضيق • تعالى صوتهم • مطالبين بالدخول مثلها

أحس رمضان انها مرتبكة • أو مهمومة • أسرع منصور اليها مبتسما ومصافحا • قال :

— الصول رمضان ، أعز أحبابنا في السجن •

وضعت يدها في يد رمضان لكنها لم تنظر اليه •
نظر منصور الى رجاله • فقال أحدهم للصول رمضان :

— بعد اذنك يافندم • فردوا بطانية على الأرض العارية • وسط صالة الزيارة • وفردوا بطاطينا من جهتين •

فأمسك كل اثنين منهم بطرفى البطانية • حتى صنعوا ساترا • دخل منصور وزوجته وسط الساترين المصنوعين من البطاطين الممدودة • ثم أسرع اثنين آخرين • ومدا بطانيتين من الأمام والخلف ، فأغلقا المستطيل من الجهتين دهش رمضان ورجاله • أما رجال منصور فقد كانوا حريصين • أن ينظروا بعيدا ـ وهم يمسكون أطراف البطاطين ، حتى لا يروا ما يحدث فى الداخل •

اشرأبت رؤوس الزوار • وتدافعوا • مما جعل بعض الجنود ــ الذين يقفون مع رمضان ، بأن يذهبوا الى الباب الضيق لمساعدة زملائهم هناك •

أراد الصول رمضانأن يعترض • فمد ساقه فعلا • لضرب هؤلاء الذين يمدون البطاطين ، ثم دفع الرجل وزوجته العاريين فى أسفل • لكنه لم يستطع •

كان الشاويش يتابع وجه رمضان فى قلق • جندى من الجنود ذهب الى الجدار وسند جسده • فقد أحس بالدوار أحس رمضان بأن حدة الشمس قد هدأت • وانها سوف تغرب قبل موعدها •

تذكر ان موعد الزيارة قد حان · لكنه لم يستطع أن يأمر بدخولها وسط هذا المشهد ·

تمنى لو جاء ضابط كبير · ليتخذ موقفا حيال ما يحدث · على الأقل سيكون الأمر ليس أمره هو ·

وقف منصور ، فأسدل رجاله بطاطينهم · كانت زوجته تشد ملابسها حول جسدها ، وهو ينظر لرجاله سعيدا ، من فرط سعادته ضرب أحدهم فوق قفاه · فابتسم له الرجل سعيدا ·

قال منصور لرمضان :

ـ ألف شكر يا أفندينا ·

فرش رجل من رجاله بطانية على الأرض · فجلس منصور وزوجته يتحدثان ، ومدت أمامهما « الزيارة » التى أتت بها المرأة معها · بينما حمل الباقى بطاطينهم ووقفوا بعيدا · منتظرين عودة « معلمهم » ثم أشار الصول رمضان بدخول الزيارة ·

كان غير سعيد ، لأنه لم يمنع ما حدث · لكنه قال لنفسه بعد تفكير طويل :

ـ ما الذى حدث · أنها زوجته فى الحلال ·

(٢)

ـ أنا أيضا اشتقت لرؤيتهما ·· ورؤيتــك انت أيضا · ولكن لا أستطيع أن أتيك ·

قالت فزعة : لا ·· لا تأتى خشية أن يراك ســيد أو زوجته ·

سارا معا ·· قالت :

ـ ممكن آن تأتى ليلا · بعد أن ينام سيد أو زوجته ·

آتاها كما وعد · كان الطفلان نائمين ·

جلسا متجاورين ·

خرج قبل الفجر · بعد أن ترك لها مبلغا من المال ·

لم تكن تظن أن سيد وزوجته يتجسسان عليهـا ·
وينتظران حتى يدخل حجرتها · ليدقان الباب عليهما·
سمعت أمها تحدث زوجة سيد ·
ـ ماذا حدث ؟
ـ ابنتك تدخل زوجها الى حجرتها ليلا ·
صـاحت الأم فى ضـعف بلا فضيحة · اصمتى ·
لا تجعلى الناس ينظرون الينا ·
وآتى أبو نوال ·· وسيد خلفه ·

دق أبوها الباب فى عنف : افتحى يا بنت ·

فتحت نوال · أسرع الرجل اليها · ضربها بعنف حتى ألقاها على « الكنبة وأمسك سيد زوجها · شده من ملابسه » اتستغفلنا ؟!

قال :
ـ انها زوجتى ·
آتى أبوها اليه :
ـ ليست زوجتك ·· أنا الذى أنفق عليها لا أنت·

ـ اننى لم أخطىء ٠٠ أتيت لأرى طفلى ٠

أسرعت أم نوال الى ابنتها ٠ شدتها من شعرها !

ـ هكذا يا نوال تفضحين أمك ٠٠ تضعين رؤوسنا فى الطين ٠

قالت نوال وهى تبكى :

ـ انه يأتى ليرى طفليه ٠

صاحت الأم وهى تبكى :

آنسيت أن لك أخوات بنـــات ٠٠ لم يتزوجن بعد ٠٠ تريدين آن توقفى سوقهن ٠

ازدادت نوال نحيبا ٠

امتلأت الحجرة بالناس ٠٠ بكى للطفلان ٠ ازدادا خوفا ٠

قال الزوج :

ـ أنا لم أخطىء ٠٠ حاولت أن أصالحها ٠ أبوها يرفض كل مرة ٠

قال الأب : ولن تعود اليها أبدا ٠٠ مادمت قد فعلت هـــذا ٠

امتلأت الحجرة بالناس :

اختلطت الكلمات . شقت الأم ثوبها . مزقته .

تدخل بعض الرجال محاولين الاصلاح :

ـ من أجلنا يا معلم . من أجل الطفلين .

صاح الآب مؤكدا قوله :

ـ ابنتى وأنا حر فيها .. ومن له يه كلمة يلمها .

خرج الزوج مهموما .. تابعته النسوة من خلف النوافذ والشرفات .. تهامسن .

(١)

ســـار فى الشـــارع الضيق .. نظر حـوله فى خيفة . النوافذ والشرفات مغلقة .. الشارع مظلم .. ليس به مصباح واحـد لينـيره .. اطمـأن . ليس فى الشارع من يراه .. وقف لحظات أمام البيت . يعرف هو كل شىء عنه .. درجاته المتآكلة . بلاطه المخلوع . الناس فيه نيام .. فليسر فيه بلا خوف . ســار .. صعد الدرجات .. حجرة نوال مظلمة أيضـا . انهـا مستيقظة بلا شـك .. ولكنهـا تتظاهر بالنـوم حتى لا يكتشف أمرها أحد . نقر فوق الباب نقرات خفيفة . انفتح له البـاب . المـرأة مسـتعدة تماما .. رداؤها

الهفهاف الذى لا تخرجه من دولابه سوى لتلك اللحظات· والمساحيق التى تزيد وجهها جمـالا · قالت بصـوت خافت :

ـ أدخل مسرعا ·

قبل آن تغلق الباب خلفه · نظرت حولها · اطمأنت ان كل من فى البيت قد نام ·· أغلقت الباب ·· زفر هو وقال :

ـ أليس حراما · أن أتيك ـ هكذا كاللص · ؟!

ـ قل لى · ماذا أفعل ؟

قام · اقترب من الفراش ·

رفع الغطاء عن الطفلين قبلهما ·

قالت :

ـ تعال بعيدا عنهما · أخشى أن يستيقظا · فيحس بنا من فى البيت ·

نظـر الى الطفلين فى أسى · أعاد الغطـاء فـوق جسديهما ·

قالت :

ـ تعال لتجلس بجوارى أنتظرك منذ أيام ·

سار ببطء اليها · جلس ·· قبل أن تمتد ذراعه ليلمس ظهرها · دق الباب ·

وقفت فزعة · هو الآخر وقف ·· الحجرة واحدة · ليس هناك مكان يختبىء فيه ·

رددت هى كلمات كثيرة تنم عن خوفها · هــو لاه عنها يريد أن يجد مخرجا ·

آتى صوت مخرجا ·

آتى صوت الطارق :

ـ افتحى يا نوال · أنا « سيد » ·

لطمت خديها :

ـ سيد صاحب البيت كنت متأكدة انه قد نام ·

قال فى ضيق :

ـ قلت لك يا نوال ألا نتقابل حتى يحلها ربنا ·

ـ أنا الآن في هذه المصيبة · قل لى ماذا أفعل ؟ ·

صاح سيد من الخارج :

ـ لماذا لا تفتحين · من عندك ؟

لم تجبه · آتاهما صوت زوجة سيد :

ألم أقل لك انى رأيته يأتيها قبل ذلك ·

صاح سيد ثانية :

ـ ان لم تفتحى سأرسل لأبيك ·

ارتمت على الفراش · بكت · استيقظ الطفلان · بكيا ··

قال هو :

ـ ما الذى يخيفك · افتحى لهما الباب ·

ـ لا · لن أفتح ·

رددت زوجة سيد من الخارج :

ـ الفاجرة · تستغفلنا · وتدخله كل ليلة ·

أجاب سيد :

ـ ان لم تفتحى سأرسل لأبيك ·

قالت نوال فى عصبية :

ـ ارسل اليه ٠

صاحت زوجة سيد من الخارج بصوت مرتفع :

ـ تعالوا يا ناس ٠ انظـروا ماذا تفعـل نوال ٠ تدخل الرجل دون علم أحد ٠

لطمت نوال خديها ثانية ٠ مرددة :

يا فضيحتى ٠ يا فضيحتى ٠

آتاها صـوت النسـوة من الخـارج ٠ يعلقن على ما حدث ٠

جلس ـ هو ـ على « الكنبة » قال فى حزن :

ـ ذهب سيد ليأت بأبيك ٠

لم تجبه ٠ شردت ٠٠

لا تدرى نوال كيف حدث هذا ٠٠ تطورت الأحداث دون أن تحس ٠

الولد الكبير ـ عادل ـ مرض ٠٠ ذهبت مع زوجها به للطبيب قال :

ـ انه محتاج لغذاء • ولعلاج طويل •

لم يستطع زوجها آن يدفع ايجار الحجرة شهرين متتالين • ذهب لسيد :

ـ اعذرنى يا عم سيد • الولد عادل كما تعلم كان مريضا • علاجه أخذ نقود الشهر كله •

ثار سـيد • ذهب لوالد نـوال قريبـه هـو الذى أسكنهما عنده • وهو المسئول عن دفع الايجـار له • أننى أبوها • ثار •

قال فى كبرياء : اذا لم يكن يقـدر عـلى البيت فليفارقه •

وآكد سيد على قوله •

حدث حوار طـويل بين الثـلاثة انتهى بأن غضب زوجها وترك البيت ••

ارادت ليلتها أن تصرخ • أن تبكى ولكنها خشيت الفضيحة • لو فعلت هذا لسببت العار لأهلهـا سـيقول الناس : انها لم تستطع البعد عن زوجها •

ولكنها لم تستطع البعد عنه فعلا ٠

طفلاها يرددان طوال اليوم بابا ٠٠ بابا ٠٠

تغلق نوال باب حجرتها عليها وتبكى ٠٠

آبوها لا يأتيها الا نادرا ٠ كلما حاول زوجها « الصلح » يرفض أبوها ٠

تأتيها أمها من حين لآخر ٠ تترك النقود للصرف على الطفلين وهى ضجرة ٠٠ تردد للطفلين ٠

ـ اذهبا لأبيكما بستر أولادنا وأولاد غيرنا ٠
تشعر نوال بالهوان ٠

لم تجد سوى أن تذهب لزوجها ٠ انتظرته وهو خارج من المصنع الذى يعمل به ٠٠ استقبلها سعيدا قالت :

ـ الطفلان يسألان عنك ٠

عندما أفقت أحسست بآلام فى ساقى ، وطبيب شاب ينحنى فوق رأسى ·

آردت أن أقوم ، لكن الطبيب ابتسم قائلا :

ــ لا تخف ·

نظرت حولى فى دهشة · ما الذى أتى به الى هنا ؟

كان الطبيب مازال يعــالج الجــرح الصغير فوق حاجبى ·

ــ احمد ربنا ، لقد نجوت بأعجوبة ·

ــ ماذا حدث لى ؟ :

ـ حادثة بسيارتك • وجرح صغير فوق الحاجب • وساقك • • •

ـ كسرت ؟ •

ـ سنعرف هذا بعد « الأشعة » •

لم يعد ما حدث خافيـا عنى ، فقـد كنت أسرع ، السيارة تطير فوق الأرض • وأنا لاه عن أى شيء سوى ابتسام زوجتى •

أشعل السيجارة وأنا أمسك مقود « السيارة » • أبعد كل هذا الوقت تتنكر لى ؟!

أيام الخطوبة فى الاسكندرية ، وأحلامنا معـا ، ثم الزواج والسفر الى القاهرة •

كل ذلك يضيع ، مع أنى لم أقصر معها فى شيء •

تعيش فى القاهرة دون أمها واخواتها ، وأنا مشغول بعملى معظم النهار •

هى لا تجد ما يشغلها ، ملت ، المجلات التى أشتريها لها ملقاه في كل ركن من الشقة •

وخيوط التريكو ، البعض منها مشغول ، والآخـر كما هو فوق « الكومدينو » بلفته •

بكت وأصرت أن تسافر الى أمها ٠

قلت مبتسما :

ـ سافرى ، وسأحضر اليك بعد يومين أو ثلاثة ٠ بعد آن أنهى أعمالى ٠

آنهيت أعمالى بسرعة ٠ وسافرت اليها ، كانت أخواتها المتزوجات ـ وغير المتزوجات ـ يتحدثن عن مسلسلات التليفزيون ٠ وعن آخر خطوط الموضة فى الشعر والملابس ٠

وهى وسطهن سعيدة ٠ كأنها لم تتزوج ولم تفارق البيت ٠

تتحرك فى البنطلون فى خفة ، جسدها كما هو ٠ لم يتغير فيه شىء ، خاصة أنها لم تنجب ٠

حاولت آن أجاملهن ، أشترك فى الحديث ، لكن طريقتهن فى الرد ٠ كانت تعنى الكثير ٠ لم أكتشف هذا الا بعد آن صارحتنى ابتسام ٠ بأنها لن تعود ، فقد ملت القاهرة وحرها ٠ وعملى الذى لا ينتهى ٠

أردت ، أن تتدخل أى أخت منهن لصالحى ، خاصة من المتزوجات • لكنهن أكدن قولها ، حتى أمها ابتسمت قائلة :

ـ دعها مع أخواتها • ولو أردتها ، تعال اليهـا • أو انقل عملك هنا فى الاسكندرية •

دفعت باب السيارة فى عنف ، وأقسمت ألا أقضى فى اسكندرية ليلة واحدة •

أشعلت سـجائر كثيرة • وانطلقت بسـيارتى الى الطريق الزراعى ••

فى أول الطريق ، رأيت سيارة نصف نقل آتيـة نحوى • ونفيرها عال •

بعدها لم أحس بشىء الا والطبيب يعالج الجـرح فى وجهى •

قلت للطبيب الذى كان يستعد لمغادرة الحجرة :

ـ ما اسم المستشفى ؟

ـ كرموز •

أننى سكندرى ، وأعرف أحياءها جيدا •

لقد جاءوا بى الى هنا ، لأنها أقرب مستشفى للمكان الذى حدث به التصادم ·

قلت للطبيب :

ـ أريد أن أخرج ، اننى غنى وأستطيع الاقامة فى مستشفى أفضل ·

قال الطبيب مبتسما :

ـ الموضوع لا يستحق هـذا · سـتبقى معنا حتى الصباح ، حتى نطمئن على حالة سـاقك · وسـتخرج بعد ذلك ·

بعد لحظات دخل تومرجى يدفع « توريللى » فوقه رجل مريض ، وحوله عدد من الرجال والنسوة وضعه التومرجى فوق السرير أمامى وخرج · بكت النسوة ·

احداهن صغيرة ، كانت تبكى فى صمت والرجال يحدثونها · جاء طبيب مسن ، صرخ قائلا :

ـ أخرجوا جميعا ، حتى أستطيع أن أعمل ·

قال رجل مسن فى حزن شديد :

ـ زوجته ستبقى لرعايته ·

قال الطبيب :

ــ أخرجوا بسرعة ودعوها ٠

وضع الرجل المسن لفافة فوق الكومدينو ٠

ــ ذلك طعامه ٠ ليته يأكل شيئا عندما يفيق ٠

أشاحت بيدها فى أسى ٠

شعرت بالضيق ٠ طبيب شاب كان يعلق زجاجة جلوكوز فى أعلى السرير ، وآخر يبحث عن « عرق » ظاهر ليدخل السن فيه ٠ والطبيب العجوز يفحص الأنابيب الدقيقة التى يسير فيها الجلوكوز ٠

أردت أن أخرج من الحجرة لأشعل سيجارة ٠ لكننى لم أجد علبة السجائر معى ٠

جلست المرأة فوق السرير المقابل ٠ لم تنظر الى ، وكأنها لم ترنى ٠ كانت تتابع الأطباء وهم يبحثون فى جسد زوجها فى اهتمام وخوف ٠ عضلات وجهها تتحرك مع كل حركة فوق الجسد ٠

كانت أكثر امتلاء من « ابتسام » زوجتى ٠ لكن وجهها أكثر جمالا ٠

ينظر الأطباء الى المريض فى ضيق ٠ طال الوقت وهم يفحصونه ، ويفحصون الأنابيب التى يتعثر عملها ــ أحيانا ــ ويتحدثون ٠

أحسست بحـاجتى الى النـــوم • ربما من تأثير المخدر • أو من أثر التصادم • مـددت جسـدى فوق الفراش ونمت •

أفقت بعد ساعات ، كانت الحجرة مضاءة ، والمرأة تجلس فوق البلاط • أمام جسد زوجها الذى لا يتحرك• انسدل غطاء رأسها ، فظهر شعرها المائل للاصفرار ، وحبيبات العرق تحته ، فوق جبهتها • وانحسر الثـوب عن ساقها البيضاء • نظرت الى ، ثم أسرعت تشد الثوب على جسدها فى فزع •

ابتسمت لها ، لكنها أبعدت وجهها عنى فى ضيق • عادت ثانية لجسد الزوج الممدد •

وقفت على الأرض العارية المتسخة • وكنت مازلت ألبس « الجورب » منذ أن حدث التصادم •

تابعتنى من جلستها ، ثم أرخت جفنيها • وتنهدت فى أسى •

اقتربت منها :

ـ زوجك ؟ •

(كنت أعلم أنه زوجها • منذ أن قال الرجل المسن للطبيب ذلك • لكننى أردت أن أتحدث معها) أومأت برأسها • ثم أبعدت رقبتها عنى •

عدت الى سريرى ، ماذا لو اتصلت بابتسام • أخبرها بالحادثة • ربما يرق قلبها وتأتى الى • لا • لن أستطيع • فقد صدمت فى تصرفها • تتخلى عنى بعد كل ماقدمته لها ، ومن أجل أشياء صغيرة :

ماذا لو اتصلت بأختى • نظرت فى ساعتى • كانت تقترب من الواحدة صباحا • لا ، سيقلقها الخبر •

والموضوع لا يستحق هذا • فالجرح صغير للغاية • وساقى تتحرك • لا شىء بها سوى ألم خفيف •

لو كانت مكسورة • ما استطعت أن أحركها •

فجأة ، قامت المرأة من مكانها فى لهفة • وهى تنظر الى جسد الرجل •

نظرت الى ، لكنها لم تستطع أن تطلب منى المساعدة • أسرعت اليها •

ـ ماذا حدث ؟ •

كان الرجل يغمغم • ويخرج زبدا من فمه •

قالت وهى تبكى بصوت مرتفع :

ـ أريد الطبيب بسرعة ٠

أسرعت الى الطرقة الطويلة ، عدت بالطبيب والممرضة ٠ فحصا الرجل ثم أمر الطبيب باعطائه حقنة ٠

وقال للزوجة :

ـ اطمئنى ٠

بعد أن خرجت الممرضة ٠ قلت :

ـ ليتك تنامين ٠ فأنت مجهدة ٠

لم تعد تقطب وجهها كما كانت تفعل ٠ لم تبتسم٠ لكن حالة وجهها كانت أقل من الابتسام بقليل ٠

جلست فوق البلاط ثانية ، وجلست أنا فوق السرير المقابل :

ـ لماذا لا تجلسين فوق السرير ؟ ٠

ابتسمت ٠ لكنها لم تقم من مكانها :

ـ ماذا حدث له ؟ ٠

ـ اشتد عليه المرض فى الصباح ٠

مدت ساقيها وشبكتهما معا ٠

ــ يقول الطبيب انه نزيف داخلى ٠

ــ ارتاحى فوق أى سرير ، هل أخرج ، لتتصرفى بحرية ٠

قالت فى حماس :

ــ لا ٠ لا ٠ اننى لا أستطيع النوم ٠ كيف أنام وزوجى هكذا ٠

ــ لعلك لم تتناولى الطعام منذ أتيت ؟ ٠

ــ بل منذ أن ساءت حالته فى الصباح ٠

كانت لفة الطعام كما هى فوق الكومدينو ٠ أشرت اليها قائلا :

ــ تناولى الطعام ٠ ممكن أن تصابى بمرض ٠

زفرت :

ــ اننى متعبة منذ أن تزوجته ٠

أمسكت اللفافة ، فتحتها ٠ وقدمت لها «سندوتشا» ٠

ــ امسكى هذا منى ٠

مدت يدها فى تردد ٠

ـ يقولون ان سيارة صدمت سيارتك ٠

ضحكت :

ـ لا أعرف للآن ما الذى حدث لسيارتى ٠

ـ لم تتناول طعــاما منــذ أن أتيت ٠ خــذ لك سندوتشا ٠

كنت جائعا حقــا ، لكن دافعى للأكل ٠ كان لأن أشاركها ٠

كان وجهها أكثر جمالا وهى مبتسمة ٠ أمســكت اللفافة ٠ تابعتها وهى تلوك ٠

كانت تنظر الى والى جسد الرجل المريض من وقت لآخر ٠

وجهها لم يعد مجهدا كما كان ٠

ـ أحضر لك ماء ؟ ٠

ابتسمت حملت « دورق الميــاه » الفارغ من فوق الكومدينو ٠ وذهبت لدورة الميــاه : كانت حجــرات المرضى مظلمة ٠ وحجرة الطبيب مغلقة ٠

عدت بالماء ٠ أعطيته لها ٠

مددت يدى ، خلعت غطاء رأسها . أبعدت رقبتها فى عصبية . غمغمت :

وضعت خمارها جانبا . ولمست الشعر الناعم . تحركت وهى جالسة ، أرادت أن تبتعد . وهى مازالت تنظر بحرص وخوف الى جسد زوجها .

داعبت رقبتها العارية . ثم صدرها .

المرأة فى حيرة . تريد أن تصرخ . ولا تستطيع . ما الذى يمنعها من أن تسبنى . أو توقظ المرضى والممرضات والأطباء . ولو لم يكن زوجها فاقدا وعيه لكان قام من مكانه ، لسماع صوت تغمغمها .

جلست بجانبها (بين السريرين) التصقت بجسدها . دفعتنى ، اندفع جسدى كله بسرير زوجها اهتز السرير . اهتزت زجاجة الجلوكوز والأنابيب الدقيقة .

لم تعد تستطيع حتى أن تغمغم . فقد خنقتها بفمى .

شدت شعر رأسى . وساقى التى تؤلمنى . وملابسى المتسخة بالدم .

عندما قمت من بين السريرين · كانت مجهـدة ، لدرجة أنها لم تجلس كما كانت ·

ظلت نائمة لوقت طويل · تنظر الى فى دهشـة · ثم اعتدلت ، وأرادت أن تسبنى · أو تعاتبنى ، لكنها لم تستطع ·

قامت ، نظرت الى وجه زوجهـا الذى كان أكثر اصفرارا · أرادت أن أجىء لأراه معها · لأرى ان كانت حالته قد ساءت أم لا ، لكنها لا تعرف اسمى · وما حدث ـ لا شك ـ جعلها تشعر بالحياء منى هزت جسد الرجل فى فزع · ثم صاحت بى :

تعالى · انظر اليه ·

أسرعت · هززته معهـا · ثم أسرعت الى حجـرة الطبيب · دفعتها · فانفتح البـاب · كانت الممرضـة نائمة فوق مكتبها · والطبيب نائم فوق فراشه فى آخر الحجرة · صحت فى عجلة :

ـ ارجوك · الراجل فى حالة سيئة ·

أسرعا خلفى ·

كانت منحنية فوق جسد زوجها · تبكى فى صمت دفعها الطبيب · ثم فحص الرجل · وقال :

ـ مات ·

نظرت الى · وأنا مشدوه فوق سريرى البعيـد · ثم صرخت · أحسست أنها تريد أن تقول لى شيئا خرج الطبيب والممرضة خلفه ·

أسرعت اليها · كانت تتحرك فى جنون · شددت جسدها الى ، ودفنت وجهها فى صدرى وبكت ·

عندما أحسست أن المرضى سـيأتون من الحجـرات الأخرى أبعدتها عنى ·

انكفأت فوق الفراش وبكت ·

فى الصباح ، جاء الرجل المسن · وبعض النسوة · كانت قد تعبت من البـكاء والصراخ · فجلست عـلى الأرض ، بين السريرين · واضعة رأسها فوق يدها ·

صرخت النسوة · وبكى الرجـل العجوز · وهى تتابعنى من وقت لآخر ·

حملوا الجثة فوق « الترولى » • الذى دفعه التومرجى خارج الحجرة • بينما دخل الطبيب الشاب قائلا لى :

ـ أبشر ، ساقك سليمة ، يمكنك أن تخرج •

خرج الرجل المسن ، وخلفه النسوة وراء الترولى•

وسارت هى فى خطوات وئيدة ، قبل أن تخرج من الحجرة ، نظرت الى ، لمحتها وأنا منهمك بجمع أشيائى •

١ ـ شخصيات تمهيدية :

شـــشتاوى

اسمه بالكامل ، ششتاوى رمضان أبو غريب • وقد ذكر اسمه مجردا لأنه لم يذكر بالكامل الا فى المناسبات، وفى مرات قليلة طوال حياته ، كان آخرها عندما تزوج لواحظ • قبلها كان متزوجا من امرأة فى العزبة ماتت منذ عام تقريبا •

حزن ششتاوى عليها كثيرا • فقد تركت له ثلاثة أطفال أكبرهم حسنى الذى يبلغ العاشرة الآن •

يرتدى شستاوى قفطانا قصيرا من العبك . ويسير حاملا فاسه على كتفه . يزرع قطعة أرض قريبة من المصرف التابع لشركة الورق .

الباشا ــ صاحب الشركة ــ يسمح له بزراعة الأرض نظير اشتراكه فى حراسة المخازن . فأرض المخازن واسعة ، وورق الدشت الموضوع بها لا يملأها أبدا .

لا يخلع شستاوى قفطانه الا نادرا . ولا يلبس الحذاء . وعندما تزوج لواحظ منذ شهور قليلة أصر عوض شقيقه الأصغر أن يلبس الحذاء . رغم أن عوض الأصغر فشستاوى يحترمه ويقف له عندما يراه . فالعزبة كلها تحترم عوض وتقدره . ويؤدى هذا ــ بالطبع ــ الى تقدير الناس لشستاوى .

لواحظ زوجته الجديدة ، طويلة وجسدها ممشوق . وشعرها يميل للاصفرار .

لم يفكر شستاوى فى الزواج منها ، رغم أنه يراها كثيرا ، عندما تأتى مع أبيها ليحملا أكوام الفجل والجرجير التى يزرعها شستاوى ، والتى يبيعها أبوها أمام باب المصنع .

عارض ششتاوى شقيقه عوض عندما عرض عليه الزواج من لواحظ · قال :

ـ البنت صغيرة · وقد لا ترضى بعجوز مثلى ·

لكن أبا لواحظ الذى يصلى العشاء كل ليلة معهم فى المسجد وافق وقال فرحا :

ـ يكفى اننى سأصاهر عوض أفندى ·

لم تعارض لواحظ · فهى لم تكن تنتظر رجلا محددا للزواج · كل حلمها أن تتزوج والسلام ، لترتاح من قلقها الدائم من ألا تتزوج أبدا لفقر أبيها الشديد·

فرح ششتاوى بها فهى ـ فوق جمالها الواضح ـ نظيفة ، لا تبصق على أرض الحجرة ـ كما كانت تفعل زوجته التى ماتت ـ وتغسل ملابسه وملابس أطفاله أولا بأول · وتغسل وجهها كثيرا وتهتم بزينتها ·

وصاها أبوها بأن تحسن معاملة أطفال زوجها ـ اليتامى · خشية أن يغضب عوض أفندى ـ عمهم ـ ويفضحه فى المسجد الذى يتقابلون فيه يوميا عند صلاة العشاء ·

المعلم بكرى

يعمل بكرى رئيسا لعمال شركة الورق ، يرتاح الباشا ـ صاحب الشركة ـ لعمله · فهو مهاب من كل العاملين ، لا يستطيع أحدهم أن يعصى له أمرا · فكل العاملين ـ تقريبا ـ من العزبة التى يعيش فيها بكرى ، أو العزب المجاورة لها · وكلهم يقدرونه ويخشونه ·

عوض رمضان أبو غريب

قصير ونحيف بعكس شقيقه شتاوى القوى العملاق · يلبس نظارة سوداء ، وطاقية بيضاء فوق رأسه ليخفى صلعته التى ظهرت قبل الأوان · يعمل مدرسا فى مدرسة ابتدائية قريبة من العزبة ·

يقوم كل عام بحصر الأطفال الذين وصلوا لسن دخول المدارس · يطلب من أهلهم أن يمدوه بشهادات ميلادهم وصورهم · ليقوم ـ هو ـ بالتقديم لهم فى المدرسة التى يعمل بها ··

لايطلب منهم ـ أحيانا ـ ثمن الأوراق والتمغات التى دفعها ، اذا ما كانوا فقراء لا يقدرون على الدفع·

يقرأ كثيرا فى كتب الدين · ورغم أن بكرى هـو الذى يؤم الناس فى الصلاة · الا أن عوض هـو الذى يخطب خطبة الجمعة ويعظهم ويحـكى لهم عما يقرأه فى كتبه الصفراء ·

كان يرى البنت لواحظ بشعرها الأصفر وعينيها الزرقاوين تقف تبيع الجرجير والفجـل أمام باب شركة الورق · يعرفها عوض منذ صغرها · كان يخشى عليها من الشبان الذين يعملون فى الشركة خاصة الذين يأتون من أماكن بعيدة ويرتدون السراويل ويدهنون شعورهم بالزيوت ، فالبنت جميلة وفقيرة وقد تنبهر بهم · لذا ، فكر فى أن يزوجها لشتاوى شقيقه الأكبر · فقد حلت زوجته السابقة المشكلة بموتها ·

فكر عوض فى هذا منذ أن كان يسير ناحية المدافن لدفن زوجة شقيقه ·

كان يسأل عن حال لواحظ ، وعن معاملتها لأطفال أخيه ، وكان شتاوى يدعو له بالخير · لأنه السبب فى سعده بزواجه منها ·

٢ ـ الحـــادث :

ذهبت لـواحظ الى « المصرف » تحمـــل الأوانى لتغسلها هناك ٠

كان ذلك بعد العصر بقليل ٠ فأخذت معها الولد حسنى ـ ابن زوجهـا ـ الذى أمســك ببعض الأوانى ليساعدها ٠ وحملت هى الباقى على رأسها ٠

تعرف لواحظ أنها جميلة ٠ لكن الأرزاق لا توزع بقدر الجمال ٠ فشتاوى أكبر منها بسنوات كثيرة ٠ كما أنه ـ رغم زراعته للفجل والجرجير ـ ليس غنيا ٠

خوض حسنى فى الماء ٠ وضع ما معه من أوانى أمامها ٠ وجلس على حافة المصرف يلعب بالأوراق الجافة التى تلقيها الشجرة الكبيرة الرابضة خلفه ٠ ثم أخـذ يلقى بالطوب الصغير فى المصرف متابعا الدوائر الصغيرة التى يحدثها الطوب فى الماء ٠

فى ركن بعيد من المصرف كان عبد البارى يجلس على الحافة ممسكا بقطعة طويلة من « الغـاب » ليصطاد السمك ٠

شمرت لواحظ عن ملابسها وانحنت لتغسل الأوانى ٠ فوجىء عبد البارى بها وهى منحنية ٠ ساقاها الطويلتان أمامه ٠

الشمس غابت، والسائرون يقلون فى ذلك الوقت٠ كما أن هذه المنطقة تبتعد عن المارة ٠٠ فهى عبارة عن منعطف يحده من الجهة الأخرى حائط كبير ومرتفع لشركة الورق ٠

نسى عبد البارى بوصته ٠ جسد المرأة أمام عينه تمام ٠ كأنما تقصد أن تثيره ٠ لواحظ لم تره ٠ الولد حسنى ــ أيضا ــ لم يلمحه ٠ فعبد البارى يجلس فى ركن منزو ٠ أسرع ، رمى بوصته وخوض فى الماء حذرا ٠٠

مل الولد حسنى رمى الطوب وصنع الدوائر الصغيرة فى الماء ٠ فأخذ يلعب حول الشجرة الكبيرة ٠٠ يقفز من فرع لآخر ٠

التصق عبد البارى بالمرأة ٠ صاحت فزعة :

ــ ما هذا ٠ ما هذا ؟!

لكن عبد البارى كان قد أحكم التصاقه ٠

ارتعشت يد لواحظ التى تحمل الطبق · فوقع · وطفا فوق الماء ·

ابتعد قليلا عنها · يمكن أن تمد يدها وتلتقطه · لكنها لم تفعل اكتفت بمتابعته وهو يطفو · زامت ، فى البداية الجمتها المفاجأة · لكن بعد ذلك شعرت بالتلذذ · ونسيت ابن زوجها · ونسيت أوانيها التى تبتعد عنها ·

لم تسأل لواحظ عبد البارى من يكون · وهو لم ينطق · لم تسمع سوى صوت تنهداته ، وتعبيرات النشوة ·

عاد الولد حسنى الى المصرف · رأى ذلك المشهد أمامه · صمت لحظة من هول المفاجأة ثم صرخ — عبد البارى يفعل فى زوجة أبى ·

هبت هى بجسدها فى الماء · صاح عبد البارى :

— توقفى · توقفى ·

نظرت اليه · تعرف — هى — عبد البارى — زوج صابحة صديقتها · ولديه منها خمسة أطفال لكنها تراه

الآن شخصا آخر ، تحس بأنه قريب جدا منها • وكأنها تعرفه منذ زمن بعيد •• لم تهتم لواحظ به من قبل • ولم تعــرف عنه أنه يخــون زوجتــه أو أن له علاقات نسائية قط •

كل ما تعرفه عنه أنه جاد فى حياته ، ويحرص على صلاة العشــاء فى المســجد مع باقى رجال العزبة (فى الوقت الذى يكون معظم أهل العزبة موجودين) ويحرص على سماع وعظ عوض أبو غريب مدرس الالزامى •

ــ يا فضيحتى ، الولد سيفضحنى فى العزبة •

عاد عبد البارى الى أشيائه مهموما • تبعته هى :

ــ ماذا ستفعل يا مجنون ؟

لم يجبها • جمع أشياءه • لم يكن حريصا عليها • لكنه من فرط دهشته لما حدث • لا يعرف ماذا يفعل •

جرى الولد حسنى بأقصى سرعة يملكها • صــوته الحاد انطلق ، اخترق النوافذ والشرفات والجدران • وصل للناس داخل بيوتهم :

ــ عبد البارى فعل مع زوجة أبى فى «المصرف» •

تجمع الناس حوله • كان يبكى :

ـ ماذا حدث • قل •

خرج ششتاوى من بيته على اثر صوت ابنه ••

لقد خرجت لواحظ مع حسنى أمامه • قالت :

ـ سأغسل الأوانى فى « المصرف » •

لم يكن الولد راغبا فى الذهاب معها • وأشفق هو عليه • فالولد يريد أن يكمل لعبه مع أقرانه أمام البيت• قال ششتاوى وقتها :

ـ دعك من الأوانى واغسليها فى الغد •

لكنها أصرت •• قالت انها لن تجد أوانى نظيفة تضع فيها طعام العشاء • كما أنها تخاف من الذهاب الى المصرف وحدها فى ذلك الوقت المتأخر •

سار عبد البارى متخاذلا • ولواحظ تبكى بجانبه :

ـ ماذا سأفعل الآن ؟

هو أيضا • لم يكن يعـرف ما سـيفعله • زوجته ـ لا شك ـ قد علمت بما حدث • ولعلها تبكى الآن حظها الذى مال ، وأولاده الخمسة وأقاربه وششتاوى وعوض

أفندى والمعلم بكرى رئيسه فى شركة الورق . كيف يستطيع أن يواجه كل هؤلاء ؟!

كان أهل العزبة يتهيأون للذهاب الى المصرف ومعهم الولد حسنى الذى كف عن البكاء . ششتاوى يلعن ويسب . وعوض ـ الذى خرج بقفطانه الأبيض مع حرصه على أن يخرج دائما ببدلته كاملة ـ أمسك أخاه وشده ليمنعه من التهور .

وجدوا عبد البارى آتيا حاملا بوصته الطويلة وقفته الصغيرة خاوية بلا سمكة واحدة . لواحظ تسير خلفه متخاذلة بدون أوانى تبكى .

الأوانى ، مازال بعضها يطفو داخل المصرف . أراد ششتاوى أن يهجم على عبد البارى . لكن عوض أمسكه من يده :

ـ ابتعد يا ششتاوى ، لا تضيع حقنا .

لواحظ فاجأها المنظر . رجال كثيرون آتون . ونساء وأطفال . الكل مشدوه لما حدث .

ـ شرفى يا ناس .

أمسكه بكرى بيده السوداء الضخمة وقال :

ــ حقك لن يضيع ٠

هربت لواحظ ٠ أسرعت ٠ سارت وسط الأراضى الزراعية ٠ تخبطت٠ الى أى مكان تذهب٠ بيت شتشاوى لم يعد ممكنا الذهاب اليه ٠ كيف ستواجهه ٠ وتواجه أولاده ٠ خاصة الولد حسنى الذى فضحها٠ ولن تستطيع الذهاب الى بيت أبيها ٠ فكيف ستواجهه وتواجه أمها وأخواتها البنات ٠

عندما أحست لواحظ أن الرجال ابتعدوا عن طريقها ارتمت على الأرض وبكت ٠ كان الليل قد شمل القرية كلها ٠

أحنى عبد البارى رقبته أمام البكرى ٠ معلمه :

ــ ماذا فعلت يا عبد البارى ؟

لم يقل شيئا ٠ كان صمته ورقته المنحنية دليل ادانته ٠

شتشاوى ــ لأول مرة ــ لا يخضع لارادة شقيقه عوض ، فيحاول أن يفلت من يده ٠ ومن أيادى كثيرة تمسكه :

ـ ابن كذا وكذا ٠

عبد البارى لم يتأثر بكلماته ٠ لم ينظر اليــه ٠ كان يسير لم يزل ٠ الرجال تتبعه فى اهتمام ودهشة ٠ قال بكرى :

ـ المجلس فى دارى بعد صلاة العشاء ٠

سار عبد البارى وحده ٠ زوجته صابحة فى البيت الآن ٠ لم تأت مع النسوة اللاتى جئن لرؤيته ٠ ولم ير طفلا واحدا من أطفاله مع الأطفال العديدين أمامه ٠

أين سيقضى الوقت لحين انعقاد المجلس ٠

حكايته تلك هى حــكاية العــزبة كلهــا الليلة ٠ والليالى كثيرة قادمة ٠ ســتلوكها الألسن فوق الأسرة ٠ ستجعل الليلة أكثر سخونة من كل الليالى التى مرت ٠

لعلهم فى القهوة ـ الآن ـ يتناقشون فيما فعل ٠

عاد عبد البارى الى المصرف ٠ جلس بجوار الشجرة الكبيرة التى كان الولد حسنى يلعب فوقها ٠

٣ ـ التحقيــق :

فى المجلس ، جاء عبد البارى متخاذلا ، لم يحيى أحدا ٠ كان بكرى يجلس فى صدر البهو الكبير ٠ وعدد

كبير من الرجال يجلسون • عوض أفندى يجلس بجوار بكرى • وشـــشتاوى يجلس فوق الأرض تحت أقــدام شقيقه وبكرى •

قال بكرى :

ــ تعال هنا يا عبد البارى •

لوى ششتاوى رقبته وزفر • فوضع عوض أفنــدى يده فوق رأسه ليسكته •

انتهت الجلسة بأن يدفع عبــد البارى ألف جنيــه لششتاوى عقابا له ، وأن يأتى بالمبلغ فى الغد لبكرى •

انفض المجلس • عادوا الى بيــوتهم • كانـــوا يتحدثون • كل مجموعة تسير معا • وعبد البارى وحده من أين سيأتى بالألف جنيه ؟

قلق هو من أجــل صابحة زوجته وأولاده ، ترى ماذا يفعلون الآن • ستواجهه زوجته حتما بعاصفة شديدة من الزعيق والسباب ، رغم أنها لم ترفع صوتها عليه منذ أن تزوجها • ولم تحدثه بكلمة جارحة •

سـار فى الظـلام • البعض يقابله • يتفرس فى وجهه • يحييه البعض ، أو ينظرون بعيدا عنه • فى طريقه للبيت قهوة زايد • التى كان يجلس عليها من وقت لآخر يدخن المعسل • ويلعب الدمينو • اذا ما مر أمامها الآن ، سيسخرون منه • أو قد يسبونه ، لذا ، فضل أن يسير من طريق آخر •

دق باب بيته ، فتحت ابنته • لم يحدثها • نظـر حوله • كانت الحجرات مظلمة • المصباح الغازى خافت على غير العادة •

أتت زوجته من احدى الحجرات • فى عينيها بقايا دموع • نظرت اليه دون قول • سار الى حجرته • خلـع حذاءه الذى لم يخلعه منذ أن خرج للصيد بعد الثالثـة بقليل • اقتربت زوجته منه :

ــ بماذا حكموا عليك •

ــ بألف جنيه •

ــ من أين ستأتى بهم ؟

ــ لست أدرى •

خرجت من الحجرة · نامت مع أطفالها فى حجـرة أخرى (أول مرة تفعلها منذ أن تزوجها) لن يستطيع أن يقترض من أحد فى العزبة · لو كان لشىء آخر غير الذى حدث · لكانوا اقرضوه ·

كما أن زوجته لن تعطيه مصاغها ليبيعه ·

ليس لديه سوى القراريط القليلة التى ورثها عن أمه · والتى يؤجرها · فالعمل فى شركة الورق يكفيـه ويغنيه ·

فى الصباح ذهب عبد البارى الى بكرى ·

ــ ها · يا عبد البارى · آتيت بالنقود ؟

ــ لا · أريدك أن تساعدنى لكى أبيع أرضى ·

ليس لديك شىء آخر تبيعه سواها ؟

ــ أجل ·

رجـل وامـرأة

حمل كوب شايه وخرج من حجرته ، سار خطوات قليلة ، وصل الى درجات المسجد العريضة · التى يجلس فوقها بعض شباب الحارة ·

حياهم ·· ردوا تحيته ·· جلس على حافة درجة من درجات المسجد ·· رشف الشاى السخن ·· أبناؤه فى الحجرة ــ مازالوا ــ ·· لم ينتهوا بعد من تنـاول طعامهم ·

يصحو مبكرا كل يوم ·· يشـعل « الوابور وهم نيام ·· يضع الماء فوق النار ·· يدفئه لهم ·· يوقظهم بعد ذلك ·· يغسل لهم وجوههم وأرجلهـم ، ثم يعـد الافطار لهم ·

يذهب ولده ــ الأكبر ــ معتز ·· معه ·· يوصله لعمله ·· يعمل الولد فى ورشة حدادة · ويبقى الثلاثة ــ الآخرون ــ فى الحجرة ·

منــذ أن ماتت أمهــم وهــو عــلى هذه الحالة ·· ينتظرونه على الغداء ، يشعل الوابور لهم ·· يطعمهم ·· الولد معتز لا يتناول الغداء معهم ·· يتناوله هناك ·· فى الورشة التى يعمل بها ·

لا يعود الا مساء ·

الجــيران يشــكون من أولاده · أمهم دللتهــم ·· يحطمون كل شىء فى الحجرة ·· كل يوم يعيد ترتيب السرير ·· أحيانا يجــده قد وقع ·· فيعيــد اقامتــه ثانية ·

انه لا يسمع ما يقوله الشباب بجواره ·· يضحكون ·· ويثرثرون ·

الشاى يتناقص فى يده ، كلما بحثت له أخته عن زوجة أخرى ، لا ترضى به ، تقول : أولاده أشقياء ·· ولا تقوى امرأة على خدمتهم ·

بعد أن ينتهي من شرب الشـاى ، سيدخل حجـرته ثانية ·· يحمل الأطبـاق عن المـائدة ·· يضـعها فى الحوض ·· يقف وسط النساء ·· فدورة المياه مشتركة بينه وبين سكان آخرين ·· يشـغل كل منهـم حجـرة واحدة ·

يغسل الأطباق ·· يتذكر حينذاك زوجتـه التى كانت تقف أمام الحوض ·· ترفع ذراعهـا الممتلئـة العارية تتحدث ·· تضحك بصوت مرتفع ·

كان هو يسمع صوت ضحكتها من داخل حجـرته ، يعنفها :

ـ يا امرأة فى الحجرات الأخرى رجال كثيرون ·· يسمعون ضحكتك ·

تقول :

ـ لا تهتم ·· أنا لا يملأ عينى سواك ··

كانت أجمـل امرأة فى البيت كله ·· وجههـا أحمر ، وجسدها ممتلىء ، بغير ترهل ·

حبلت بطفلها الخامس ·· ذهبت الى المستشـفى

بعد أن تعبت ، وخابت الداية فى أن تولدها ٠٠ ولـم تعـــد ٠

بعد أن انتهى من شرب الشاى ٠٠ وضــع الـكوب فوق درجة المسجد بجواره ٠

أخرج علبة سجائره ٠٠ أخذ يرمى السجائر لبعض الرفاق حوله ، ثم أشعل سيجارته ٠

خرج طفل ، من أطفاله ، يجرى ٠٠ ممسكا بقطعة خشب ٠٠ وطفل آخر ــ من أطفال الجيران ــ يجــرى خلفه وهو يبكى ٠٠

صرخ فى ولده : يا ولد اعطه خشبته ٠

لم يسمعه الولد ٠٠ كان قد وصل لنهاية الحارة ٠٠ والطفل الآخر مازال يجرى خلفه باكيا ٠

شد نفسا من السيجارة ٠٠ سمع صوت شجار فى البيت المواجه للمسجد ٠

«نوسة» تخرج من باب البيت تسب بصوت مرتفع ٠

نوسة جميلة .. وجهها قريب الشبه من وجه امرأته التى ماتت .

زوجها مسعد خرج خلفها .. طويل نحيف .

قال أحد الجالسين ساخرا : زوج نوسة يشبه السجارة « الونجز » .

امرأة أخرى بدينة خرجت من خلف نوسة . وهى تصرخ وتلوح بيديها .

مسعد يشد امرأته .. والمرأة تقاوم .. تتركه وتذهب الى المرأة البدينة .

امتلأت الحارة بالنسوة والأطفال ..

مسعد لا يستطيع أن يدخل امرأته .. فهو ضعيف ـ وهى جسدها قوى .. يتردد هو كثيرا على مصحة الصدر بكوم الشقافة .. والمرأة لا تكف عن الاستحمام .. وجهها يزداد احمرارا يوما عن يوم .

مسعد الضعيف له نوسة ، وهو لا امرأة له .

نظر فى ساعته .. عليه الآن أن يسرع الى حجرته .. لن يغسل الأطباق ككل يوم .. سيحمل جاكتته البيضاء ويذهب الى البار الذى يعمل به .. يحمل الصينية ، ويضع الكئوس فوقها .. ويدور وسط الموائد .. يلتصق جسده بأجساد العاملات فى البار .. يضحكن له .. تفوح رائحة الخمر من أفواههن .. الزبائن يجرعون الكئوس . يطوقون أجسادهن .

هو لا يستطيع مقاومة ذلك . ولكن لقمة العيش مرة .

يتقيأ الزبائن ـ من أثر السكر ـ يسرع هو الى صفيحة « نشارة الخشب » يرش الأرض بالنشارة ويكنسها بالمكنسة ..

البار رخيص ، وزبائنه فقراء ، وعاملاته دميمات، أجسادهن مترهلة ، ووجوههن مجعدة .

تحرك نوسة يدها بحركة بذيئة .. مسعد زوجها أتته حالة سعال .. أسرع الى الجدار ليسعل بعيدا عنهن .

قال الشاب الذى بجانه :

ــ الحقوا ياعالم .. نوسة ستفترس المرآة .

قال آخر : ليتهـا تفعل ذلـك ، على الأقل سنرى جسديهما عندما يتعريان .

هو لا يشترك فى الحديث .. يتابع جسد نوسة . زوجته ، كانت تقول نوسة مشيها بطال

لم يكن يهتم ــ حينذاك ــ بهذه الأشياء . ولكنـه الآن مطارد بأطفاله الأربعة الذين لا يكفون عن الشجار مع بعضهم ، أو مع أطفال الآخرين .. ونساء البارات الدميمات .. والنساء اللاتى يرفضن الـزواج منه ، لأن أطفاله أشقياء .

نوسة لا تهتم بأحد . زوجها أعلن استسـلامه .. قبع بجوار الحائط .. أخرج علبة دخانه الصدئة وأخذ يلف سيجارة .

لعل المرأتين تتشاجران من أجل الأطفـال .. أو لأن واحدة « نشرت » غسيلها قبل الأخرى .

ذلك ليس مهما . المهم أن يستغل الفرصة ، ليمسك جسد نوسة .

يشعرها بوجوده ٠٠ آه لو يموت زوجها ٠٠ ليس مهما الآن ٠٠ المهم أن تحس به ٠٠ سيتأخر عن العمل ٠٠ سيصرخ الخواجة ـ صاحب البار ـ سيضطر أن يحمل الكئوس بنفسه لزبائنه ٠

حمل كوب شايه الفارغ ٠٠ وسار خطوات ناحية بيته ٠٠ كان مترددا ٠٠ ثم أسرع ثانية الى مكان الشجار ٠

لم ينظر ناحية درجات المسجد ٠٠ فهو يعلم انهم سيسخرون منه ٠

قال بصوت مرتفع : يا جماعة عيب ٠٠ لماذا تتشاجران ؟

نظر الى نوسة التى لم تكف عن الصراخ ٠٠ والوعيد للمرأة الأخرى ٠٠ انه لا يفهم ما يقال ، ولا يعرف سببه شجارهما ، كل النساء يتحدثن :

مد يده وأمسك ذراع نوسة العارى ٠٠ شدها :

ـ ليس هكذا يا نوسة ٠٠ الناس لبعضها ٠

نظرت اليه : اسكت ٠٠ انها امرأة لا تستحق سوى هـذا ٠

شدت ذراعها من يده ·· سار اليها ثانية ··

ــ الى أين تذهبين ؟

وقفت أمامه ·· المرأة البدينة اقتربت هي الأخرى منه ·· قالت :

ــ سأقول لك ما حدث ، واحكم انت ·

لو كانت امرأته موجودة ، لأقسمت أن تترك حجرته وتذهب الى أمها · لأنه أهانها ــ هكذا ــ أمام الحارة لم يسمع للمرأة البدينة · أعطاها ظهره · وضـــع ذراعه حول رقبة نوسة :

ــ تعال ·· قولى لى ــ انت ــ ما حدث ·

وقف مسعد فزعا · أغلق علبة دخانه وأسرع :

ــ ماذا تفعل وسط النساء ؟

ترك رقبة المرأة ·· نظر الى الرجل :

ــ انني أصالحهما ·

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ تفضل ٠٠ لا نريد مصالحتك ٠

لم يهتم به أحد ٠٠ عادت المرأتان الى الشجار ٠

وعاد هو خائبا لدرجات المسجد ٠٠ وكوب الشاى الفارغ مازال فى يده ٠

كانوا يتحدثون وهو فى طريقه اليهم ٠

عندما وصل اليهم ، كفوا عن الحديث ٠

الفهـــــرس

صـــدر من هذه السلسلة :

الرجل المناسب	(قصص)	فتحي غانم	١
دموع رجل تافه	(قصص)	عبد الرحمن فهمى	٢
الشميع يربحون الجائزة	(قصص)	ابو المعاطى ابو النجا	٣
بالأمس حلمت بك	(قصص)	بهاء طاهر	٤
رباعيات	(قصص)	شكرى عياد	٥
من قتل الطفل	(مسرحيتان)	عبدالغفار مكاوى	٦
منتصف ليل الغربة	(قصص)	جمال الغيطانى	٧
رشق السكين	(اقاصيص)	محمد المخزنجى	٨
وعلى الأرض السلام	(قصص)	فاروق خورشيد	٩
الأشواق والاسى	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	١٠
والبحر ليس بملآن	(رواية)	جميل عطية ابراهيم	١١
ان تنحدر الشمس	(قصص)	سحر توفيق	١٢
لا تسقنى وحدى	(رواية)	سعد مكاوى	١٣
كهف الاخيار	(قصص)	شكرى عياد	١٤
محطة السكة الحديد	(قصص)	ادوار الخراط	١٥
حصار القلعة	(م شعرية)	محمد ابراهيم ابو سنة	١٦
سارق الكحل	(قصص)	يحيى حقى	١٧

● يوسف والرداء	(قصص)	ابراهيم اصلان	٣٩
● ســالة لبنى	(قصص)	يحيى عبد الله	٤٠
● عكس الريح	(قصص)	يوسف ابو رية	٤١
● هــل	(قصص)	محمد جبريل	٤٢
● عفاريت الجبانة	(مسرحية)	نعمان عاشور	٤٣
● الطائر والنهر	(قصص)	خالد خمسباك	٤٤
● زهر الليمون	(قصص)	علاء الديب	٤٥
● الشواهين	(قصص)	امين ريان	٤٦
● رائحة البحر	(رواية)	سامى فريد	٤٧
● حضرة صاحب الدولة	(مسرحية)	عاطف الغمرى	٤٨
● اسباب للكى بالنار	(قصص)	خيرى شلبى	٤٩
● السين والطلسم	(قصص شعرى)	بدر الديب	٥٠
● ايام الانسان السبعة	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	٥١
● الملاك الابيض	(قصص)	محمد زفزاف	٥٢
● هذا ما كان	(قصص)	محمد البساطى	٥٣
● الغرف الاخرى	(رواية)	جبرا ابراهيم جبرا	٥٤
● اغنية حب حزينة	(قصص)	طلعت فهمى	٥٥
● انكسار الحروف	(قصص)	ربيع الصبروت	٥٦
● اخبار الدراويش	(رواية)	عبد الوهاب الاسوانى	٥٧
● البيل والغضب	(قصص)	فتحى عبد الفتاح	٥٨
● الشيء	(رواية)	نهاد شريف	٥٩

● الفيوم ومنابت الشجر	(رواية)	عبد العزيز مشرى	٦٠
● الصخرة والطوف	(مسرحيات)	فؤاد التكرلى	٦١
● نورسان ابيضان	(قصص)	نعيم عطية	٦٢
● ستر العورة	(قصص)	سعيد الكفراوى	٦٣
● الوجه الآخر للقمر	(قصص)	محمد سليمان	٦٤
● سفر	(قصص)	محمد المخزنجى	٦٥
● رجال من الرف العالى	(قصص)	سليمان الشطى	٦٦
● رايت النخل	(قصص)	رضوى عاشور	٦٧
● ليلة حب مجنونه	(قصص)	ليلى العثمان	٦٨
● المستحيل والقيمة	(تجربة فى الديالكتيك)	بدر الديب	٦٩
● النعيم العائم	(مسرحية)	توفيق الحكيم	٧٠
● شمس بيضاء	(قصص)	محمد عبد السلام العمرى	٧١
● ديوان الملحقات	(قصص)	عبد الحكيم قاسم	٧٢
● شتاء داخلى	(قصص)	احمد زغلول الشيطى	٧٣
● حكاية شارعنا	(رواية)	وجيه الشربتلى	٧٤
● اذعان صغير	(قصص)	فهد العتيق	٧٥
● منحنى النهر	(قصص)	محمد البساطى	٧٦
● العشق اوله القرى	(قصص)	ابراهيم فهمى	٧٧
● اغلاق النوافذ	(قصص)	ابراهيم عبد المجيد	٧٨
● اجنحة الحصان	(قصص)	هالة البدرى	٧٩

الأعـــداد القـــادمة

● اظافر صغيرة جدا	(قصص)	فهد العتيق
● ظما البحـر	(قصص)	ربيع الصبروت
● دولة ايوب	(م. شعرية)	محمد حسيب القاضى
● عقيلة	(م. شعرية)	بيرم التونسى
● الأيام السعيدة	(قصص)	نعيم عطية

الأعـداد المتـــازة

● المعذبون فى الأرض	(رواية)	طه حسـين
● قنطرة الذى كفر	(رواية)	مصطفى مشرفه
● خيوط العنكبوت	(رواية)	ابراهيم عبد القـادر المازنى
● ابراهيم الثـانى	(رواية)	ابراهيم عبد القـادر المازنى
● نائب عزرائيل	(رواية)	يوسـف السـباعى
● فسـاد الأمكنة	(رواية)	صبرى موسى
● قصص مختارة	(قصص)	يوسف ادريس
● اغنية الرياح الاربع	(دراما شعرية)	على محمود طه
● اضـلاع الصحراء	(قصص)	ادوار الخراط

تطلب كتب هذه السلسلة من :

- باعة الصحف
- مكتبات الهيئة
- معارض الكتاب بداخل مصر والخـارج
- المعرض الدائم للكتاب
- مكتبات الهيئة المتنقلة بالأحياء والأقاليم

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/١٧٦٣٠

ISBN — 977 — 01 — 6036 — 9